

دورية حقوق الانسان السوداني

العدد رقم 16 - 2003

المحتويات

- افتتاحية: ما الذي تقوم حكومة السودان بإبلاغه للجنة الخاصة بحقوق الطفل؟
محجوب التجاني ص2
- حالة حقوق الإنسان في السودان
1 يونيو - 30 سبتمبر ص10
- ثيولوجية التعليم في السودان
دراسة الأمين العام محمد حسن داوود ص17
- حول ديمقراطية التعليم
سعاد إبراهيم أحمد ص29
- مأزق التعليم العالي
عبد الوهاب عبد الرحيم، الوزير السابق للتعليم العالي ص32
- انتهاك حقوق الابداع والتعليم في الجنوب
اكول ميان كوال ص34
- معلمان سودانيان غيبهما الموت ص35
- رسائل إلي المحرّر ص37

افتتاحية

ما الذي تقوم حكومة السودان بإبلاغه للجنة الخاصة بحقوق الطفل؟

محجوب التجاني، رئيس المنظمة السودانية لحقوق الإنسان، القاهرة

خلق الناس "شعوباً وقبائل لتعارفوا" (و) "لا إكراه في الدين" يجعل من القرآن الكريم في إنسجام موضوعي مع المجتمع السوداني المتنوع، ميثاق الأمم المتحدة، ومواثيق حقوق الإنسان الدولية.

وقعت حكومة السودان على اتفاقية حقوق الطفل منذ عام 1990. بالنظر إلى التزام الدول الأطراف بعرض تقارير "إلى اللجنة (حول حقوق الطفل)، عبر الأمين العام للأمم المتحدة، حول الإجراءات التي قامت بتنفيذها لتنفيذ الحقوق المعترف بها وفي شأن التقدم الذي تم إحرازه في ما يختص بالتمتع بهذه الحقوق" وفقاً للمادة 44 من الاتفاقية، فإنه يثير بالفعل قلق المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة أن تلاحظ على ضوء التقارير والتحليلات الواقعية المضمنة في هذا العدد من الدورية الخاص بالحقوق في التعليم في السودان، الانتهاكات الشنيعة من قبل حكومة السودان للاتفاقية، وأيضاً للمعايير الدوابة الأخرى. وبنفس القدر من الأهمية، فإن التعليم السياسي المتحيز للإسلام، العقيدة والفقہ - بدلاً عن تقديم عرض أكاديمي متوازن للإسلام والأديان الأخرى أو نظم الإيمان بالنسبة للطفل من أجل معرفة مدرسية في مجال التعليم الابتدائي، الثانوي والمراحل العليا - سوف تتم مناقشتها بجديّة في هذه الدورية من خلال دراسة شاملة أعدّها الأمين العام للمنظمة، محمد حسن داوود، وكتّاب آخرون حول اللاهوت، المنهج الدراسي، وإدارة تعليم السودان.

إن الإسلام هو أحد أعظم الديانات في العالم. يشير مصطلح "الشريعة" إلى المصادر الأصلية للإسلام المقيدة تماماً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الموثوقة (القولية والفعلية). إلى جانب أصول الإسلام، هناك موروث هائل من الشريعة تراكم طوال 16 قرناً من التدين المتواصل، المستوعب لتفسيرات عديدة من قبل أصحاب النبي، بما فيهم أفراد أسرته، وأيضاً الفقهاء والعلماء الآخرين الذين طوّروا أفكار وإتجاهات ومدارس مختلفة للفقہ (قانون الشريعة). بجانب نظام الإيمان هذا، فإن عدة مفاهيم للشريعة قد نشأت كنتيجة للظروف الفكرية والمادية المتغيرة للمناخ الاجتماعي عبر المساحة الشاسعة للمجتمعات المسلمة في كافة أنحاء العالم. بالتالي، فإن الشريعة الإسلامية لا يمكن إطلاقاً النظر إليها كمبدأ أو نظرية مركزية يمكن لدولة واحدة أو مجموعة -أى كانت- أن تقوم باحتكارها، ناهيك عن فرضها على مجتمع مسلم أو أمة إسلامية بأسرها.

تراثاً فكرياً بشرياً وتقليداً معاصراً، تواصل الشريعة مراكمة المعرفة والمنهج التطبيقي الذي يمثل بالضرورة وظيفة للتغيير الاجتماعي والتحوّلات المجتمعية. إن ما هو بشري من تعاليم وأوامر وفروض الشريعة هو بالطبع محل خلاف بين المسلمين، وأيضاً المهتمين من غير المسلمين لأسباب عديدة: أكاديمية، سياسية أو مجرد فكرية. إن تقاليد صوفية عديدة، على سبيل المثال، تشير إلى الشريعة باعتبارها "تأويل الأولياء" أي التفسيرات الشخصية للأصول بواسطة الزعماء المسلمين الذين يجتوون "الجهاد الأكبر" (التجويد السلمي للروح والعقل، كما حضّ عليه بشدة النبي) في حين يعتبرون جهاد قتال الآخرين مسموحاً به فقط في حالة الدفاع عن النفس، والذي يتعيّن أن يكون في جوهره جنوحاً متواصل نحو صنع السلام.

أمن ملايين من المسلمين باحترام عظيم بإسلام السلام، العدل، والتعايش السلمي مع غير المسلمين، على نحو ما تمّ الحث عليه باستمرار بواسطة المئات من الزعماء المسلمين، وبصفة خاصة أولياء الصوفة (عباد الله المخلصين) الذين يعتقد أتباعهم بفضلهم أنهم خير من يقومون بتفسير وتطبيق الشريعة (أنظر للمناقشات الدقيقة والمستفيضة حول مفاهيم الشريعة، التطبيق، الإبدال، التأويل والتفسير، والموضوعات الأخرى والمؤلفات التعليمية لمحمود شلتوت، سيد قطب، عبد الخالق محجوب، نصر حامد أبو زيد، العشموي، محمود محمد طه، كارولين فلور - لبنان، وعبد الله النعيم، بين عديدين آخرين).

على نقيض الإسلام الشعبي الصوفي، فإن مجموعات إسلامية متشددة بعينها، لاسيما الإخوان المسلمين (بشعورهم المحلي أو الدولي)، تتمسك بأن عقيدة الإسلام هي في الأساس حرب جهاد مقدّسة من قبل المجتمع يتعيّن شتّى باستمرار ضد غير المسلمين جميعاً، وأيضاً ضد المسلمين الذين يرفضون تعاليمهم المتشددة القائمة على تفسيرات أصولية ضيقة الأفق للشريعة بأسلوب فاشي لترويج خصومهم، مسلمين وغير مسلمين، بالتخويف، الذي يُفضّل إنفاذه من خلال استغلال سلطة الدولة، حتّى يصبحوا أتباع بالقسر والقوة. لتطبيق هذا الفهم البائس للإسلام، خطّ الإخوان المسلمين بصبر للسيطرة على الدولة في السودان، الأمر الذي تحقق في النهاية بحكومة الإنقاذ العسكرية في يونيو 1989.

وقر الحكم العسكري المتسلط لانقلاب يونيو فرصة ذهبية لجماعة الإخوان المسلمين لتجريب كل مذاهبها في ظل الغياب الكامل لنظام كفاء للمراقبة والموازنة، على نحو ما حظيت به البلاد باستمرار في ظل حكومات ديمقراطية وحكم انتقالي. ومع ذلك، فإن الدولة البوليسية لاستبداد الإخوان المسلمين (الجبهة الإسلامية القومية) لن تكون أبداً قادرة على أن تسكت قرون الاختلاف حول الشريعة، كجزء هام من التنوع الديني والسياسي للسودان. كمساهمة في حق السودانين في التعبير الحر وتقرير مصير الكيفية التي ينبغي أن يتعلموا بها، فإن دورية حقوق الإنسان السوداني تسهم في النزاع المستمر حول النظم المناسبة للمجتمع والدولة السودانية بنقد خاص للتعليم في السودان الذي حوله حكم الجبهة الإسلامية القومية لشكل شائه من التجنيد "التعليمي" لصالح النخبة الحاكمة عن طريق تزييف الروح الدينية والأهداف الاجتماعية للشريعة.

إن المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة لشديدة القلق من الإتجاه الواضح لحكومة السودان لتسييس الإسلام في التعليم لتعزيز النظام الإرهابي الديكتاتوري للجبهة القومية الإسلامية، والتي تعتبر في الواقع حزباً سياسياً صغيراً مقارنة مع الأحزاب الأخرى الكبيرة التي يعتبر بعضها أعرق وأوسع جماهيرية منها وأكثر إهتماماً بالإسلام والمجتمع المسلم في ما يتعلق بالإيمان والتوجيه مقارنة مع مجموعات الإخوان المسلمين في الجبهة الإسلامية القومية. بجانب ذلك، توجد المئات من منظمات المجتمع المدني في البلاد التي تؤمن بأيديولوجيات سياسية متنوعة - ومع ذلك فهي تحمل ذات الأجندة الوطنية المشتركة الخاصة بالبلاد كمجتمع ذي تعددية دينية، عرقية وسياسية. في هذا المقام، فإن المنظمة تذكر القراء بالنظام التعليمي في السودان - السابق للجبهة الإسلامية القومية - والذي كان مزيجاً متقدماً من تراكم خبرات تجارب التعليم السودانية والدولية لآلاف المعلمين، الأكاديميين، والخبراء التعليميين من مختلف مشارب المعرفة في كافة أنحاء العالم.

تخريب التراث التعليمي السوداني

إن غنى التراث الوطني التعليمي للسودان، الذي راكم نصوص دينية -إسلامية ومسيحية- منتقاة بحرص، بجانب محاولات عديدة لإدراج القيم والديانات الروحية الإفريقية في المنهج بشكل مناسب - قد اجتذب بشدة الطلاب من كل أنحاء العالم، وبخاصة من إفريقيا والمنطقة العربية، للدراسة في مدارس السودان، جامعاتها، وغيرها من مؤسسات التعليم الأخرى التي تضم الأكاديميات والكليات المهنية، المدنية والنظامية.

إن أجيال من الخريجين قد تخصصت في العلوم، الدراسات الإنسانية، والدراسات الدينية المقارنة، كمجالات معرفة مختلفة يتم، من خلال الحريات الأكاديمية، الحصول عليها عبر أفضل البرامج التعليمية ومناهج التدريس السودانية. إن جامعة الخرطوم التي أعتبرت، ضمن مؤسسات تعليم عالي أخرى، بحق فخرًا للتعليم الإفريقي والعربي، بخت الرضا، المعلمات، التمريض، الزراعة، الصحة، وكليات أخرى عديدة متخصصة بجانب الكلية الحربية، كلية الشرطة كلية السجون والأكاديمية العسكرية الوطنية قد استفادت بشكل كبير من التراكم المتميز السوداني لتجارب التعليم كما ينعكس في الكفاءة القوية للخريجين الذين طوّروا بحق الجودة النوعية للتعليم بالشهادات المميزة للمؤسسات التعليمية السودانية، عالمياً، من خلال البروتوكولات المتبادلة مع أنظمة التعليم الأمريكية والأوروبية والإفريقية والعربية.

إن ما أحدثته الجبهة القومية الإسلامية في التعليم السوداني عن طريق الاستبدال المباشر، الإلغاء، التدمير، والتشويه لهذا الإرث اللامع كانت نتيجته فادحة وعظيمة: بدلاً من الحفاظ على هذا التراث القيم والإضافة إليه وترقيته بمزيد من الإحترام لحق المعلم، المتعلم، والمجتمع بكل تنوعه، قرّر حكام الجبهة القومية الإسلامية أن يجعلوا من التجربة والحرفية السودانية المتركمة أثراً من الماضي. خطّط حكام الجبهة الإسلامية القومية لتنمية شخصية الطفل السوداني كمحارب انتحاري، فدائي (شهيد) يقتل نفسه / نفسها والوطنيين السودانين الآخرين لقضية دينية (من أجل الله) هي، في الواقع، دافع إسلامي حقيقي في ظاهره، تم تزييفه على امتداد المنهج لمناصرة الرغبة السياسية لإرهابي الجبهة القومية الإسلامية في حكم السودان بالحرب الأهلية وإراقة الدماء بأي ثمن.

إن المنهج الدراسي للجبهة القومية الإسلامية يهدف باستهتار إلى تنشئة الطفل على التضحية بروحه/روحها من أجل حكم الجبهة الإسلامية القومية الرجعي والمتخلف من خلال الإستهزاء بالملكية الفكرية وحقوق وحرريات الفكر والتعبير، وتعطيل التوجّه البشري للبحث عن واستكشاف المعرفة ومن ثم الإضافة إليها بالإبداع والفردية. إن المنهج التعليمي للجبهة القومية الإسلامية يحول بالتالي إمكانيات الطفل السوداني وطاقاته نحو مادة جوفاء يتم تجنيدها لخدمة إرهابي السودان، جماعة الإخوان المسلمين المراوغة.

إن المذبحة الفكرية للتعليم السوداني ليست منفصلة عن الإرهاب الديكتاتوري للديكتاتورية العسكرية للجبهة الإسلامية القومية، التي مضت دون تردد إلى فصل آلاف من خيرة المعلمين وغيرهم من المهنيين والعمال المهرة في تطهير قومي غير مسبوق ضد الأعراف السودانية والدولية. إن هذا القضاء المبرم على للتعليم كان قد تمّ التخطيط له وتنفيذه بواسطة ديماجوجي الجبهة الإسلامية القومية، حسن الترابي وعلى عثمان محمد طه

وشركائهم، في غيبة الإهتمام الحازم والمتابعة البيظنة من قبل الحكومة الانتقالية (1985)، وأيضاً الحكومة الديمقراطية (1986 - 1989)، لتقويض خطط سياسيي الجبهة الإسلامية القومية وأنصارها في المجال التعليمي، بما فيهم الاستراتيجيين، الوزراء، المعلمين، وروابط الطلاب بهدف تخريب النظام التعليمي بكل السبل.

مع ذلك، فإن اللوم يقع كاملاً على قيادة الجبهة الإسلامية القومية وعضويتها في الحط من قيمة التراث التعليمي السوداني بهذه الطريقة البشعة، بجانب الإساءة للإسلام بالتوجه الانتقائي لجهاد العنف، خيانة الوطن بتفخيم الانقلاب وزعماء الحزب كأئمة "مسلم بهم" للإسلام، وحرمان الملايين من الأطفال السودانيين من أفضل محتوى وشكل تعليمي تمتعت به الأجيال السابقة منذ الطفولة، ومن بينهم قادة الجبهة الإسلامية القومية أنفسهم.

في الدراسة التي أعدها داوود، والتي لا تقصد على الإطلاق تبني موقف سلبي من الإسلام، كدين أو إيمان، أو أي نظام اعتقادي آخر بعينه، هناك تساؤلات رئيسية مشروعة حول صحة وإستقامة إعطاء وجهة دينية لمجمل المنهج الدراسي الابتدائي والثانوي في التعليم العام السوداني مع حاجات وحقوق الطفل في ضوء الاستبدال الكامل للمنهج الدراسي السابق في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية بفقہ الإخوان المسلمين.

هنا، يتعين علينا التأكيد على أسئلة حرجة تتعلق بالالتزامات الواقعة على حكومة السودان تجاه الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل بخصوص: (1) مدى اتفاق تديين كافة مراحل التعليم السوداني مع الإتفاقية، (2) مدى اتفاق عملية التديين مع تنوع وتعقد القيم الروحية، المجتمعية والثقافية السودانية، والحقوق والاهتمامات، (3) مدى قيام حكومات الدولة والحزب (الأحزاب) السياسي بما يتعين عليهم في إنصاف قضايا التعليم التي يشارك فيها بقدر متساوي المعلمون، الأسر، المجتمعات و، قبل هذا وذلك، الأطفال. سوف نقوم من جانبنا بمحاولة مخاطبة هذه الأسئلة استناداً إلى العرض المفصل للحال الراهن للتعليم السوداني في ظل الديكتاتورية العسكرية للجبهة الإسلامية.

لقد أولى الأمين العام للمنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة اهتماماً كبيراً لمحنة التعليم الابتدائي والثانوي، في ما يختص بالمنهج الدراسي. في وقت سابق، طال تربيون ونشطاء حقوق إنسان آخرون بانتقادهم مرحلة التعليم العالي، بجانب وضع التعليم في الجنوب كمثال محدد للمخاوف الإقليمية السودانية. جرى نشر أثنين من هذه الدراسات في إعداد سابقة من الدورية. تعلقت هاتان الدراستان بـ "محنة التعليم العالي" لوزير التعليم العالي الأسبق، عبد الوهاب عبد الرحيم، و "انتهاك حقوق الجنوب في الإبداع والتعليم" لأكول ميان كوال. نعيد في هذه الدورية نشر أجزاء هامة من هاتين المادتين المهينتين عوناً في تقييم وضع التعليم بشكل كلي. تمت مناقشة الإهتمام بالتعليم كقضية تنمية إجتماعية في منتدى عام من قبل الأكاديمية سعاد إبراهيم أحمد التي تحدثت في المنتدى عن حزبها المعارض بتركيز خاص على الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، والايديولوجية للحق في التعليم.

من وجهة نظرها، توضح سعاد إبراهيم أحمد تدهور الحالة التعليمية في البلاد بهذه الكلمات "إن الديكتاتورية التي تفرض القرارات الفوقية لتحقيق أهدافها التحكيمية وبالتالي هي تدبج المناخ الملائم للتعليم العالي الذي يفترض فيه أن يفتح آفاق المعرفة لا أن يكبل مؤسساتها بالقيود المتسلطة فيجعل مناخها خانقاً للفكر المتسائل والناقد، وقائلاً للإبداع الحر السامق نحو النجوم في علاها بدلاً عن التردد الأجوف والحفظ الأعمى والقبول الخانع. إن الديكتاتورية هي أساس البلاء ليس للتعليم العالي وحده وإنما لمستقبل الوطن بكامله: تميزاً لوحدته الوطنية، واضطهاداً لقومياته بثقافات المتنوعة وأديانه المتعددة، وتبيدياً لموارده لصالح الموالين لها، وتخلياً عن توفير التعليم والرعاية الصحية للمواطنين، واحتكاراً للنشاط الاقتصادي والاجتماعي والنقابي وكل أشكال وتنظيمات المجتمع المدني الزاخر إمعاناً في الانفراد بحق اتخاذ القرار في كل أوجه الحياة."

لقد جرى إخضاع التعليم في السودان تماماً للرؤية المتحيزة والمتصلبة للتفسير والإستغلال السياسي للدين من قبل الإخوان المسلمين، والذي ظلت الجبهة الإسلامية القومية تنقذه بشكل كامل منذ 30 يونيو 1989، وإلى الوقت الراهن بسلطان الدولة دون أية مراجعة سياسية أو موازنة مهنية من قبل أي كيان شعبي أو رسمي. إن النتيجة الفورية لهذا التديين المفروض على النظام التعليمي السوداني ليحتاج في الواقع إلى نقاش مسهب وتفصيلي. سوف نحاول في افتتاحية هذه الدورية التعليق على الموضوعات الهامة بمرجعية خاصة للإتفاقية التي تلتزم بها بإخلاص المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة، تماماً كالتزامها بغيرها من موائيق حقوق الإنسان الدولية.

محتوى الاتفاقية يعزز السلام والتقدم الاجتماعي:

حكومة السودان تدعو للموت وأعمال العنف

في هذه الدورية، ندعو بود قارننا إلى قراءة مواد منقاة من الاتفاقية يتعارض معها بشدة -روحاً ومحتوى- تديين التعليم في السودان. يمثل هذا بالتأكيد إنتهاكاً جسيماً للمعايير الدولية من قبل حكومة السودان.

إشارة لبعض الأمثلة القليلة، فإن ديباجة الاتفاقية تقر بأن "الطفل، بغية النمو المتوافق والكامل لشخصيته/ شخصيتها، يتعين أن ينشأ في بيئة عائلية، في جو من السعادة، الحب والنقهم." وتعتبر الديباجة "أن الطفل يتعين

إعداده بشكل كامل لحييا كفرد في مجتمع وأن تتم تنشئته وفق روح المثل المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة وبشكل خاص في روح السلام، الكرامة، التسامح، الحرية، المساواة والتضامن." و"الدبياجة أيضاً" تولى عناية خاصة لأهمية التقاليد والقيم الثقافية لأي شعب بغرض حماية النمو المتوافق للطفل"، وأكثر من ذلك تعترف ب "أهمية التعاون الدولي في تطوير الظروف المعيشية للأطفال في كل بلد، وبشكل خاص في البلدان النامية."

بإلقاء نظرة متأنية على المنهج التعليمي لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي، يتضح تناقض جلي بين توجيه المنهج لكافة الصفوف الدراسية في كافة المواد، سواء أكانت لغة عربية، فقه إسلامي، أو علوم تطبيقية (التي أصبحت بديلاً للكتب الدراسية المنفصلة سابقاً في التاريخ، الجغرافيا، العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع) من ناحية، وبين التأكيد السابق ذكره للدبياجة على الشروط الواجبة لبلوغ شخصية معافاة لدى الطفل عن طريق "جو من السعادة، الحب، والتفهم"، "الحياة كفرد في مجتمع"، في روح "السلام، الكرامة، التسامح، الحرية، المساواة، والتضامن"، و "أهمية التعاون الدولي بغية تطوير الظروف المعيشية للأطفال في كل بلد، وبوجه خاص في البلدان النامية."

بالمثابرة والمواصلة في إعداد الأطفال للتبني النظري والعملي لحرب الجهاد (التي لم تكن أبداً الهدف الأوحد للديانة الإسلامية) والقتال العبيث المتواصل (المنهي عنه تماماً من قبل القرآن الكريم، من حيث المبدأ) باستخدام مرجعية خادعة (لقضية الله والدفاع عن الوطن)، في الوقت الذي يتم فيه غض الطرف تماماً عن الأسباب الحقيقية للحرب الأهلية في السودان والموقف المخزي للحكومات المركزية في السودان، وبصفة خاصة حكومة الجبهة القومية الإسلامية القائمة، تجاه الجنوب، جبال النوبة، دارفور، والمناطق الأخرى المهمشة في البلاد، في الواقع لا مكان للإشارة إلى أن التوجيه الرئيسي للإسلام، وفقاً للمصادر الأصلية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة الموثقة، يحث البشرية بقوة على إحترام السلام، تجنّب الصراع المسلح، كرامة كافة البشر، مسلمين وغير مسلمين، وحق الناس في اختيار ما يريدون من دين لأنفسهم ولأطفالهم. "لا إكراه في الدين" كما تنص سورة البقرة في القرآن الكريم.

إن إصرار المنهج الدراسي للجبهة القومية الإسلامية فقط على تأكيد ضرورة، أولوية، وفضل الشهادة (الموت أثناء مقاتلة العدو) للأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة عشر لهو انتهاك جسيم لمواد الاتفاقية التي تؤكد "لكل طفل الحق المكفول في الحياة - المادة 6، الفقرة 1-"، "المصلحة المثلى للطفل ينبغي أن تكون محل الاهتمام الرئيسي - المادة 3، الفقرة 1-"، "حق الطفل في الاحتفاظ بهويته/ هويتها - المادة 8-"، "حماية الطفل من كافة أشكال العنف الجسدي أو العقلي - المادة 19-"، "إتخاذ جميع الإجراءات العملية لضمان أن أي أشخاص لم يبلغوا من العمر 15 عاماً لا يتعين مشاركتهم في القتال - المادة 38/2 -" "الطفل المعاق جسدياً أو عقلياً يتعين أن يتمتع بحياة كريمة - المادة 23-"، "التمتع بأرفع مستوى متاح من الرعاية الصحية وتيسير العلاج من المرض وإعادة التأهيل الصحي . . . (أ) لخفض معدلات الوفاة بين الرضع والأطفال . . . (ج) لمحاربة المرض وسوء التغذية، ومن ذلك داخل إطار الرعاية الصحية الأولية، ضمن أشياء أخرى، استخدام التكنولوجيا المتوفرة ومن خلال توفير المواد الغذائية الكافية ومياه الشرب الصحية، أخذاً في الاعتبار أخطار التلوث البيئي - المادة 24-" ضمن مواد هامة عديدة أخرى.

إن النظرة الأحادية الجانب في المنهج التعليمي التي تحول دون تنظيم الأسرة يتعارض بشكل مباشر مع المادة 24 من الاتفاقية التي تدعو "ف) لتطوير الرعاية الصحية الوقائية، توفير الإرشادات للآباء والأمهات والتعليم الخاص بتنظيم الأسرة والخدمات - المادة 24-". وكحقيقة مسلمة، فإن علماء مسلمين متميزين من صنو البروفيسور عمران، من دراسات السكان التابعة للأمم المتحدة، يدعون المجتمعات المسلمة لتوسيع برامج تنظيم الأسرة كوسيلة ناجحة لتعزيز المساواة بين الجنسين، حقوق المرأة، وعديد غيرها من الفوائد الروحية، الاجتماعية والاقتصادية. لقد عرف المجتمع السوداني البرامج المفيدة لتنظيم الأسرة قبل وقت طويل من إستيلاء الجبهة الإسلامية للسلطة السياسية. يعتبر د. عبد السلام المغربي، وهو مؤسس بارز وقائد لبرامج تنظيم الأسرة في السودان، أحد الأمثلة المتميزة لعالم نجح لعقود طويلة في إدراج المفاهيم الثقافية والدينية في الدعوة النشطة لتنظيم الأسرة.

بمصادقتها على نظام جنسي متعصب بسفور، التمييز على أساس النوع، وإزدراء حقوق المرأة، فإن حكومة السودان يتعين اعتبارها أسوأ منتهاك للاتفاقية التي تلزم بقوة "وجوب احترام وكفالة الدول الأطراف للحقوق المنصوص عليها في الاتفاقية القائمة لكل طفل داخل سلطاتها دون تمييز من أي شكل، غض النظر عن عرق، لون، جنس، لغة، دين الطفل أو أبويه، الرأي السياسي أو خلافه أصل جهوي، عرقي أو ثقافي، الملكية، الإعاقة، المولد أو أية حالة أخرى - المادة 2 (1)-". إن انتهاكات حكومة السودان لحقوق الطفل تسوء أكثر بإهمال حق الفتيات في التمتع بوضع مساوي في النشاط المدرسي والحياة المجتمعية وفقاً لمنصوص "المادة 31 (2): "يتعين على الدول الأطراف إحترام وترقية حق الطفل في المشاركة الكاملة في الحياة الثقافية والأدبية، ويتعين عليها تشجيع اعتماد فرص مناسبة ومتساوية للأنشطة الثقافية، الأدبية والأنشطة الاجتماعية وأنشطة أوقات الفراغ."

بالاطلاع على دراسة داوود حول الطريقة التي تتم بها تنشئة الفتيات من خلال المنهج التعليمي الابتدائي والثانوي، فمن الواضح أن الفتاة السودانية لن يتسنى النهوض بها في المدارس كشريك متساوي للفتى السوداني حتى في المراحل المبكرة من الاختلاط الاجتماعي. إن هذا التمييز القبيح القائم على أساس الجنس لهو أمر لا يمكن قبوله من أولئك الذين يؤمنون في المساواة بين الجنسين، بما فيهم المسلمين الذين يؤمنون بالحديث النبوي القائل بأن "النساء شقائق الرجال"، "خذوا نصف دينكم من عائشة (زوجة النبي)"، والعديد غيرهما من الأحاديث الموثقة حول حقوق المرأة، بجانب الآيات القرآنية الواضحة في شأن الحقوق المتساوية للنساء والرجال في "التفكير، العمل، واكتساب المصالح (الدنيوية والدينية)".

إن التناقضات الأخرى بين تحريض التعليم على شن الحرب الجهادية الدينية كما يتم إنتقاؤه وفرضه بواسطة حزب الجبهة القومية الإسلامية الحاكم والأشكال السلمية للتعاون الاجتماعي والثقافي التي يتم التشجيع عليها بواسطة كل من المعايير الدولية والتفسيرات الصحيحة للدين (على سبيل المثال، تأكيد التعاليم السلمية، الإنسانية والبناءة للقرآن الكريم والحديث مجتمعين مع الإنجيل والمعتقدات الروحية الأفريقية) لأمر مفيد تجاه تشديد المنهج التعليمي في السودان بشكله الراهن على "الطاعة الكاملة للجماعة المسلمة للإمام الديني، المسجد باعتباره المكان اللائق الوحيد للاجتماع الشرعي والتعبير الحر مع الخضوع الكامل أيضاً للإمام"، إضافة إلى "تمثيل القادة السياسيين الأحاديين للأمة باعتبارهم أئمة دينيين للأمة الإسلامية" بشكل مغلوط، بهدف ماكر يتمثل في "ضمان الخضوع المطلق للنظام السياسي الراهن (الخاص بالجبهة الإسلامية القومية)"، والمزيد من الحرمان لحق الفرد في تنمية الفردية للحصول على التفكير والعمل الخلاق من أجل الحياة الطيبة.

إن النظام التعليمي للجبهة القومية الإسلامية لا يعلم التلاميذ فقط "التدخل في خصوصية الآخر وتقويمه" متى انتهك الشريعة. إن هذا المنهج التجسسي، الذي ينظر للناس كأرواح مذنبية أو أجساد ظالمة إستناداً على الشك والتخمين، لمنهي عنه بالقرآن الكريم والحديث. مع ذلك، فإن استراتيجي حكومة السودان في مجال التعليم يخططون بشكل إجرامي لتوظيف الأطفال في العمليات الأمنية ضد زملائهم في الدراسة وضد أفراد عائلاتهم. إن أعمال التعذيب والقتل الفعلي ضد الخصوم السياسيين كانت مراراً وتكراراً ذات صلة بمجندي أمن الجبهة القومية الإسلامية تحت القيادة العليا للمسؤولين العسكريين والمدنيين للجبهة الإسلامية القومية. إن هذا الأسلوب الإجرامي لتدمير أخلاقيات الأطفال بتوظيف السلطة من خلال الحياة المدرسية لهو مرفوض بقوة بنص المادة 16: "1- لا يتعين إخضاع أي طفل للتدخل الاعتباطي وغير القانوني في خصوصيته، أسرته، منزله، أو مراسلاته، أو أية اعتداءات غير مشروعة على شرفه أو سمعته. 2- للطفل الحق في الحماية بالقانون ضد مثل هذا التدخل أو الاعتداءات".

إن النظام التعليمي للجبهة القومية الإسلامية لم يراعي مسائل التعاون الدولي التي تلزم بها المعاهدة حكومة السودان. فبينما يدعو المنهج الدراسي لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي بقسوة "بالإبتلاء للدول الأوروبية والولايات المتحدة"، بشكل خاص، فإن حكومة السودان، في الماضي والحاضر، لم تتوقف في الواقع عن السعي الدبلوماسي لترقية التعاون مع الدول غير المسلمة في أوروبا، آسيا، و، بصفة أخص، من البلاد الأخرى، الولايات المتحدة! إن هذا التوجه المناق لهو مربك ولا قيمة عملية له إستناداً على التحليل الأكاديمي، ولا يأخذ في الاعتبار المصالح الوطنية للبلاد.

إن التأكيد من جانب آخر على "حضارة الإسلام" السودانية والإفريقية دون ذكر لحضارات السودان وإفريقيا السابقة للإسلام، غير الإسلامية، واللاحقة للإسلام، وأيضاً تلك الخاصة بالقارات الأخرى للعالم، لهو شديد الضرر لعقلية الطفل الذي ربما يكتشف بسهولة - في بعض الحالات في ثقافة العائلة أو الإنترنت العالمي ووسائل الاتصالات الحديثة الأخرى - أن الإسلام والموروث الإسلامي يمثل فقط جزءاً مميزاً من التراث والتراكم الهائل للمعرفة البشرية التي جاءت من مختلف أنحاء العالم عبر مسيرة طويلة للإنسانية.

السطو على دولة المدينة والحط من إنسانية غير المسلمين

من المعروف جيداً أن نبي الإسلام كانت له دائرة واسعة من العلاقات الإقليمية والدولية، كما دعا القرآن الكريم أيضاً إلى الإقرار بـ "إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا". إن الموقف الأصيل للنبي في دولة المدينة تجاه غير المسلمين، أفراداً، مجموعات، أو دولاً تضمن على الاعتراف بالتعاون الإقليمي والدولي ضمن الإطار التاريخي لذلك العصر.

إن سياسات وممارسات المدينة لجدير بالتأكيد بالدراسة الأكاديمية. غير أنها لا تتكرر بشكل تلقائي في مجتمع اليوم: "أنتم أدري بشئون دنياكم"، كما يعلم النبي. مع ذلك، يركز الاستراتيجيون التعليميون للجبهة القومية الإسلامية فقط على الوقت الذي كانت ترسي فيه المدينة سلطتها السياسية في خضم عدائيات غير مسلمة. لم تكن هذه الفترة على الإطلاق وضعاً دائماً ونهائياً للدولة. كان هناك وقت للسلام والعلاقات الأخوية، وفي الأزمنة التالية أصبحت المجتمعات المسلمة وثيقة المشاركة في تعاون مشترك للمصالح، التجارة، والتعاون العلمي

والأدي والتكنولوجي مع المجتمعات غير المسلمة في كافة أنحاء العالم. كبلد نامي، فالسودان ليس في حاجة إلى عدائيات، ناهيك عن حروب الجهاد داخل البلاد وخارجها.

إن تصوير دولة المدينة كنظام معاصر "مسلم به" للحكم بتركيز خاص على الحكام الحاليين للسودان "كأئمة" لهم ولاء مقدس ومباركة من عند الله "لقضية الله" لهو تحريف للعلوم السياسية وتزييف بشع لحقائق الحياة المعاصرة بالنسبة للأطفال. كان من الأخرى على الأقل توضيح الطبيعة غير الجازمة لهذه القضايا حتى في أوساط العلماء المسلمين، ومن ثم، ربما طرح النظريات الدنيوية والدينية والتجارب الأخرى وإخضاعها للاستفسارات والتساؤلات الفكرية الفردية للأطفال بمرجعية كاملة للاتفاقية التي تقول، "يتعين على الدول الأطراف ترقية وتشجيع التعاون الدولي في المسائل المتعلقة بالتعليم، وبشكل خاص بقصد المساهمة في إبتئصال الجهل والأمية على امتداد العالم وتيسير سبل الوصول للمعرفة العلمية والتقنية والسبل الأخرى الحديثة للوصول إلى الآخرين." في هذا الصدد، يتعين إعطاء اعتبار خاص لحاجات الدول النامية - المادة 28 (3).

إن المواد الملزمة للاتفاقية فيما يختص بحريات الطفل في التعبير، التجمع، الحصول على الإعلام، وغيرها من الحقوق أو الأنشطة الأساسية الأخرى جرى تقييدها بشدة أو إهمالها بواسطة النظام التعليمي للجهة القومية الإسلامية. لإيراد أمثلة قليلة، "يتعين حماية الطفل ضد جميع أشكال التمييز أو العقاب على أساس الوضع، الأنشطة، الآراء المعبر عنها، أو معتقدات أبوي الطفل، الأوصياء الشرعيين، أو أفراد الأسرة - المادة 3 (1). إن المرء ليتعجب كيف يمكن الاعتراف بهذه المادة أو الوفاء بها بأي شكل بينما تقوم الكتب المدرسية للجهة القومية الإسلامية بالتمييز الحاد بين الأطفال المسلمين وغير المسلمين في الدولة بأكثر الطرق سفوراً وشمولاً.

إن هذا النظام التمييزي الكريه يقوم على مرجعية مذهب الإخوان المسلمين للمنهج الدراسي - إتجاه متخلف لقانون الشريعة يميز بشكل أساسي بين مسلم يخضع لمذهبه (مثال الرئيس الحالي والمسؤولين الكبار في حكومة السودان) وجميع المسلمين الآخرين من جانب، وأيضاً يميز بين المسلمين (عموماً) والسكان غير المسلمين جميعاً. الأكثر سوءاً، أن نفس المذهب يدعو بوضوح الطفل في مجمل المقرر الدراسي والتدريبات إلى الكراهية والحط من الإنسانية، وشن الجهاد ضد غير المسلمين.

إن العملية التعليمية للملايين من أطفال السودان من غير المسلمين يتم زعزعه وترويعه بشكل خطير، وإهداره في الأساس إذ يتم تعليمهم لينظروا إلى أنفسهم "كأقلية غير مرغوب فيها وعديمة القيمة" في مقابل الأغلبية المستحسنة للأطفال المسلمين، إن حقوقهم في التعليم والاعتقاد الديني منهكة بشكل جسيم، ويجري تقييد نمو شخصيتهم وقدرتهم العقلية بشكل كامل. حيث أن "أفضل مصالح الطفل يتعين إيلاؤها الاهتمام الرئيسي - المادة 3-1"، فإن الأسلوب التعليمي لكافة مراحل التعليم يتناقض مع حث الاتفاقية للدول الأطراف على "احترام مسؤوليات، حقوق وواجبات الأبوين أو، أينما كان واردة، أفراد الأسرة الممتدة أو المجتمع، وتوفير - بشكل يتوافق مع قدرات الطفل المتطورة- التوجيه والإرشاد المناسب لممارسة الحقوق المعترف بها في الاتفاقية الحالية، بواسطة الطفل - المادة 5".

إن الدولة مسئولة وفقاً للدستور عن إحترام التنوع الثقافي والاجتماعي للبلاد. مع ذلك، فإن المنهج التعليمي يحقق فقط حقوق المسلمين. بهذا، فهناك مخاوف عظيمة حول مصير الأطفال غير المسلمين وأيضاً أطفال المسلمين الذين لم يكون أبائهم، أو أصباؤهم الشرعيين، أو أسرهم الممتدة جزءاً من شريعة الجهة القومية الإسلامية. يتناقض هذا الوضع بشكل مباشر مع المادة 12 (1): "يتعين على الدول الأطراف التأكيد للأطفال القادرين على تشكيل الآراء الخاصة بهم على حق التعبير عن تلك الآراء بحرية في كافة المسائل التي تؤثر على الطفل، إعطاء آراء الطفل ما تستحقه من قيمة حسب عمر ونضوج الطفل."

إن قانون الطوارئ الدائمة للجهة القومية الإسلامية، المراسيم الجمهورية القمعية، فرض قبضة حديدية على المجتمع المدني بواسطة الأجهزة الأمنية للنظام غير المساعلة تجاه أية جهة باستثناء كبار قادة الجهة القومية الإسلامية، والرقابة المنظمة على حق التعبير الحر، الصحافة، والأنشطة الفكرية يجعل من الحياة تحت حكم الجهة القومية جحيماً لا يطاق، ما يعتبر أبعد شيء عن ضمان أدنى مناخ تعليمي سليم. في ظل هذه الظروف، فمن المستحيل على حكومة السودان تحقيق المادة 13: "1- يتعين على الطفل الحصول على حق حرية التعبير، هذا الحق ينبغي أن يتضمن حرية البحث، تلقي ونقل المعلومات والأفكار من كل نوع، غض النظر عن الحدود، سواء شفاهة، مكتوبة أو مطبوعة، بكافة الأشكال، أو من خلال أية وسيلة أخرى من اختيار الطفل. 2- قد يمكن تقييد هذا الحق بضوابط معينة، لكن يتعين أن تكون هذه الضوابط مستندة للقانون وضرورية: (أ) لإحترام حقوق السكان الآخرين، أو (ب) لحماية الأمن الوطني أو النظام العام، أو الصحة والأخلاق العامة."

بنفس القدر، من المستحيل على حكومة السودان الاعتراف بالمادة 14: "1- يتعين على الدول الأطراف احترام حق الطفل في حرية الفكر، الضمير والدين. 2- يتعين على الدول الأطراف احترام حقوق وواجبات الآباء والأمهات و، أينما كان واردة، الأوصياء الشرعيين، لتوفير التوجيه للطفل لممارسة حقه / حقها. 3- حرية

الممارسة العنصرية للدين أو المعتقدات يمكن تقييدها فقط إلى الحدود المنصوص عليها قانوناً والضرورية لحماية السلامة، النظام، الصحة والأخلاق العامة، أو الحقوق والحريات الأساسية للأخرين" أو المادة 15: "تعترف الدول الأعضاء بحقوق الطفل في حرية تكوين الروابط والاتحادات وحرية التجمع السلمي."

مع استمرار التقييد الأمني للحق في حرية التعبير، فإن حكومة السودان لن تستطيع أن تقول كلمة واحدة في ما يتعلق بتطبيق المادة 17: "تعترف الدول الأعضاء بالدور الهام الذي تؤديه وسائل الإعلام وتضمن أن تتوفر للطفل السبل للحصول على المعلومات والمواد من مصادر متنوعة وطنية ودولية، لاسيما تلك الهادفة إلى ترقية السلامة الاجتماعية، الروحية، والأخلاقية والصحة الجسدية والعقلية . . . (د) تشجيع وسائل الإعلام لإيلاء اعتبار خاص للحاجات اللغوية للطفل الذي ينتمي لمجموعة أقلية أو هو/ هي من المواطنين الأصليين."

بالتحريض المستهتر للتعليم في كافة مراحل التعليم على رؤية جهادية متعطشة للدماء بدلاً عن الجهاد الأكبر الذي يعتبر الكمال الأعظم للروح والعقل الإنساني المسالم، على نحو ما حث بشدة نبي الإسلام المسلمين الأوائل عليه، فإن حكومة السودان تنتهك دون خجل المادة 19 في الوقت الذي تتفاوض فيه بمكر من أجل السلام: "يتعين على الدول الأطراف إتخاذ كافة التدابير القانونية، الإدارية، الاجتماعية والتعليمية المناسبة لحماية الطفل من جميع أشكال العنف الجسدي والعقلي، الإصابات أو الإساءة، الإهمال أو المعاملة اللامسئولة، سوء المعاملة أو الاستغلال، بما يتضمن الاعتداء الجنسي، أثناء وجوده تحت رعاية والده (والديه)، الوصي الشرعي (الأوصياء)، أو أي شخص آخر له حق رعاية الطفل." تأكيد احترام أحكام القانون الإنساني الدولي التي تتعلق بهم في النزاعات المسلحة ذات الصلة بالطفل، المادة 38 (2) تُلزم بأنه "يتعين على الدول الأطراف اتخاذ جميع التدابير العملية لضمان عدم مشاركة الأشخاص الذين لم يبلغوا بعد سن الخامسة عشر بدور مباشر في الأعمال العدائية . . . (4) وفقاً لألتراماتها بموجب القانون الإنساني الدولي بحماية السكان المدنيين في النزاعات المسلحة، يتعين على الدول الأطراف اتخاذ تدابير عملية لضمان حماية ورعاية الأطفال الذين يتأثرون بالنزاع المسلح."

إن انتهاكات أخرى للمعايير الدولية من جراء المنهج الضار لحكومة السودان بالسلامة والنمو الصحي للأطفال ترتبط بالمادة 23: "تعترف الدول الأطراف بأن يتمتع الطفل المعاق عقلياً أو جسدياً بحياة كريمة وكاملة، في الظروف التي تضمن الكرامة، تعزيز الاعتماد على النفس وتيسر مشاركة الطفل النشطة في المجتمع". وكذا، المادة 24، التي تقول "تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الاستمتاع بأعلى قدر ممكن إحراره من الصحة وتيسير العلاج من المرض وإعادة تأهيل الصحة . . . (أ) لخفض معدل الوفاة بين الرضع والأطفال، . . . (ج) لمحاربة المرض وسوء التغذية، بما في ذلك ضمن إطار الرعاية الصحية الأولية، ضمن أمور أخرى، استخدام التكنولوجيا المتاحة ومن خلال توفير مواد غذائية كافية ومياه شرب نقية، مع الأخذ في الاعتبار أخطار التلوث البيئي . . . (ف) تطوير رعاية صحية وقائية، الإرشاد للآباء والأمهات والخدمات والتعليم المتعلق بتنظيم الأسرة . . . 4- تتعهد الدول الأطراف بترقية وتشجيع التعاون الدولي بقصد الوصول تدريجياً للإحراز الكامل للحق المعترف به في هذه المادة."

إن إهمال المنهج التعليمي للجبهة القومية الإسلامية لهذه الشروط الجوهرية التي تتطلب تعليماً يستند تماماً على العلم في المقام الأول، بالإضافة إلى فرض نصوص دينية لم يُقصد بها في الأصل أغراض طبية أو صحية في مكانها، لهو تفسير خاطئ آخر من قبل الاستراتيجيين التعليميين للجبهة القومية الإسلامية.

حاجة ملحة لإصلاح التعليم في السودان

من التزييف الديني إلى الديمقراطية الحقيقية

ليس هناك شك في أن النظام التعليمي القائم للجبهة القومية الإسلامية يعني فقط بتوظيف أطفال السودان في سلك حزب الجبهة القومية الإسلامية الفاشي. هذه العملية التجنيدية كما يتم ممارستها في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي يجرى اعتماده أيضاً في المرحلة العليا من التعليم. في كل الأحوال، إن أحد أكبر عمليات التلقين في البرامج التعليمية تم فرضه بوحشية في المدارس على حساب المصالح الوطنية للسودان والاتفاقية، وأيضاً الدين، بشكل عام، والمعرفة الإسلامية، بشكل خاص.

لقد خلصت سعاد إبراهيم أحمد إلى إن "حصادنا كان الحرب المدمرة والتبشير الكاذب بأن قتل المواطنين السودانيين هو جهاد ديني من أجل العقيدة!! حصادنا كان الأفقار المطرد للشعب بكل فئاته والإذلال المتزايد لسودان العزة والكرامة. حصادنا كان العزلة الإقليمية والدولية التي ما شهد الوطن شبيهاً لها عبر تاريخه الطويل . . . غير مجد الحديث عن اصلاح التعليم بكل مراحل ومستوياته بمعزل عن كل ذلك."

بالنسبة للمنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة، فإن الطريق لتقويم خداع الدولة هذا يستلزم عملية طويلة مستنفذة للوقت باستراتيجية بعيدة النظر. على كل حال، يتعين الشروع في الإصلاح والتطوير بعناية لتجهيز

البديل الصحيح لنظام التعليم الراهن الذي يتم صبغه بخبث سياسياً. بإحداث الديمقراطية في المجتمع والدولة، وتوفير الحريات الأكاديمية، فإن التخصص الواضح في العملية التعليمية يوفر الضمانة المثلى لأعلى قدر ممكن من الحيادية العلمية والنشاط المدرسي عبر روح التساؤل والإبتكار، والإبداع الفكري.

أولاً: إعاد هيكلة وتشكيل المنهج التعليمي بمجموعة جديدة منتقاة من النصوص التي تهدف بوضوح إلى تشجيع وتحقيق تعايش سلمي لهجين علمي لتنوع المجتمع السوداني كمجتمع متعدد دينياً، عرقياً ولغوياً.

ثانياً: إعادة توجيه المنهج الدراسي بطريقة تفصل أكاديمياً العقائدية، الروحانية، والعلوم الدينية المقارنة من العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية، والفنون والآداب، والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا كمجالات محددة للمعرفة الإنسانية.

ثالثاً: التكامل مع النصوص المتوفرة لمعايير حقوق الإنسان الدولية، التراث البشري (التاريخ، الفنون والآداب، اللغات، الجغرافيا، العلوم السياسية، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا)، والمواد الأخرى الأكاديمية والعلمية في مراحل التعليم الابتدائي، الثانوي والعالي بالتركيز المتساوي على مغزي، عمق، واتساع كل مادة بأقصى قدر.

حالة حقوق الإنسان في السودان

1 يونيو - 30 سبتمبر

خلال فترة الأربعة أشهر الماضية التي يغطيها هذا التقرير، إستمر العمل بموجب قانون الطوارئ الذي كان رئيس الدولة قد صادق للمرة الرابعة في ديسمبر الماضي على تجديده لعام آخر، كما استمر العمل بالقوانين المقيدة للحريات ومنها قانون الأمن الوطني وقانون الإجراءات الجنائية لعام 1991، واللذين يجيزان للأجهزة الأمنية الاعتقال لفترات تتراوح بين 6 و9 أشهر ويوفر للعاملين فيها الحصانة من المساءلة، كما بقيت لرئيس الدولة سلطة إلغاء أي قانون بمرسوم جمهوري.

ورغم إعلان رئيس الدولة في أغسطس إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والنية لإلغاء الرقابة عن الصحف إلا أن عشرات المعتقلين السياسيين ما يزالون في السجون، كما استمر تقييد حرية الصحافة والتعبير وتعطيل ومصادرة الصحف. وتعرضت حرية التنظيم والاجتماع السلمي للإنتهاك غير مرة خلال الأشهر الأربعة الماضية، وبقي وضع المتحدرين من أصول افريقية والنساء والطلاب أكثر سوءاً.

وواصلت الحكومة حملتها التعبوية وإعلان تمسكها بمنهجها الديني الشمولي، وشهدت الفترة الأخيرة تخريج 100 ألف من طلاب الخدمة الإلزامية، واستعراضات عسكرية لاستيقاظ روح "الجهاد".

وفي غرب السودان أدى عنف العمليات العسكرية إلى مقتل آلاف المدنيين ونشر حالة من الفزع الواسع في أوساط المتحدرين من أصول افريقية في الغرب ودفع عشرات الآلاف منهم للزوح من بلدانهم والاحتماء بأطراف المدن الكبيرة. كما تدهور بشكل خطير الوضع الغذائي في المنطقة وكذا الخدمات الصحية والتعليمية.

التعبئة وتأكيدهم التمسك بدينية الدولة:

في 18 يونيو شن رئيس الدولة هجوماً عنيفاً على خصومه السياسيين الذين ينادون باستثناء العاصمة الخرطوم من تطبيق القوانين الإسلامية. وقال البشير إن استيلاءهم على السلطة في يونيو 1989 كان بهدف الحيلولة دون إجهاض الشريعة الإسلامية، وأقسم بأنهم لن يكونوا على الإطلاق علمانيين و"سوف نضحي بأرواحنا للحيلولة دون العلمانية".

وفي يوم الخميس 26 يونيو قامت إدارة الدفاع الشعبي بتنظيم إستعراض عسكري في الخرطوم شارك فيه آلاف من أفراد الدفاع الشعبي المدججين بالسلاح الذين ردّدوا شعارات جهادية. وأقسم قائد قوات الدفاع الشعبي، أحمد عباس، على حماية العقيدة والوطن في مواجهة الأعداء الذين يسعون لوقف مسيرة الإسلام التي انطلقت في السودان. ودعا المسئول المجندين للتضحية بأرواحهم دفاعاً عن "ثورة الإنقاذ الوطني". وقال عباس إن هدف المسيرة هو التأكيد على التزام قوات الدفاع الشعبي بالجهاد وإيقاظ روحه في أوساط الوطن.

وفي 4 سبتمبر قام رئيس الدولة بتخريج 100 ألف من طلاب الخدمة الإلزامية في الخرطوم. وقال في مخاطبته احتفال التخريج إن عدد الخريجين يمثل رسالة واضحة لكل المتخاذلين والمتأمرين في أي موقع، وأعلن عزم الدولة ومضيها في اتجاه تسليح الطلاب والشباب بالعلم والإيمان والبنديقية لمواجهة الطامعين في أرض وثروة السودان، كما أشاد "بمجاهدات الطلاب" التي قال إنها تكسرت أمامها كل المؤامرات.

يجدر بالذكر أن تنظيم قوات الدفاع الشعبي جرى إنشاؤه بموجب مرسوم جمهوري صادر عن رئيس الدولة في عام 1991 لمساعدة القوات الحكومية في الحرب الأهلية. وجرى خلال السنوات السابقة إلقاء عبء ومسئولية العمليات الإجرامية (ومنها مهاجمة وإحراق القرى وقتل المدنيين واسترقاق النساء والأطفال) على عاتق قوات الدفاع الشعبي التي تضم الآن ما يزيد عن 500000 فرد.

انتهاك حرية الصحافة:

في الساعة الأولى من صبيحة السبت 28 يونيو قامت سلطات الأمن بمصادرة جميع النسخ المطبوعة من صحيفة "الصحافة" المستقلة والبالغ عددها نحو 20000 نسخة. لم يقدّم مسئولو الأمن الذين داهموا المطبعة أسباباً للمصادرة، ولم يدر محرر الصحيفة ما إن كانت المصادرة بسبب مادة منشورة في ذلك العدد أم في عدد سابق.

وفي 4 يوليو صادرت سلطات الأمن جميع نسخ العدد 2534 من صحيفة "ألوان" بسبب نشرها مقالاً بعنوان "إعلان الخرطوم" يتضمن انتقادات للحكومة.

وفي 5 يوليو قامت سلطات الأمن بمصادرة 7000 نسخة من العدد 2114 لصحيفة "الرأي العام" من المطبعة، أي ما يقدر بثلاث نسخ الصحيفة التي تصدر 25000 نسخة. جاءت المصادرة رداً على نشر الصحيفة في عددها الصادر 3 يوليو لإعلان الخرطوم الذي صدر تأييداً لإعلان القاهرة.

وفي 6 يوليو أصدرت لجنة الشكاوي بالمجلس القومي للصحافة والمطبوعات قراراً بإيقاف صحيفة "الكابتن" لمدة أسبوع، وذلك لنشرها في عددها رقم "2405" الصادر في 28 يونيو مقالاً اعتبرته اللجنة "مخلاً بالأداب العامة". وفي منتصف سبتمبر أيدت محكمة مختصة بقضايا الصحافة والنشر رفض استئناف دار الاستشارات والخدمات القانونية ضد قرار الإيقاف.

وفي يوم السبت 12 يوليو أمرت محكمة في الخرطوم بإغلاق صحيفة "خرطوم مونيتور" وإلغاء الترخيص الممنوح لها بالصدور وتوقيع غرامة عليها. كانت الصحيفة قد حصلت على حكم لصالحها من الاستئناف الذي قدّمته لمحكمة الاستئناف، واستأنفت الصدور في اليوم السابق بعد وقفها لمدة شهرين وفق قرار صدر من ذات المحكمة في 10 مايو الماضي بسبب نشر الصحيفة مقالاً تضمن على وجود الرق في جنوب السودان.

وفي يوم الثلاثاء 29 يوليو قامت السلطات الأمنية بمصادرة جميع نسخ صحيفة "الصحافة" المستقلة من المطبعة بسبب نشر الصحيفة في اليوم السابق خبراً حول مقتل 12 طالباً مجنّداً وإصابة 31 آخرين إثر انقلاب حافلتهم، وهو ما نفاه الناطق باسم الدفاع الشعبي. غير أن مسؤولي الأمن أبلغوا رئيس تحرير الصحيفة عند استدعائه أن المصادرة تمّت أيضاً بسبب نشر الصحيفة في عددها المصادر خبراً عن عودة وفد قبلي من رحلة مفاوضات مع المتمردين في دارفور بغرب السودان.

وفي 2 سبتمبر صدر أمر لصحيفة "الوان" بالتوقف عن الصدور لحين انتهاء تحقيق في اتهام للصحيفة بإثارة الفتنة. كانت الجهات الأمنية قد اتهمت الصحيفة بدأها على نشر أخبار من شأنها "إثارة الفتنة والفوضى". غير أن السبب المباشر في وقف الصحيفة هو على الأرجح إجراء حوارين مع زوجة ونجل السياسي المعتقل حسن الترابي انتقداً فيهما رئيس الجمهورية ونائبه.

وفي 26 سبتمبر وجهت نيابة الجرائم الموجهة ضد الدولة بإيقاف الصحيفة (ألوان) اعتباراً من ذلك اليوم في مواجهة البلاغ المقدم ضدها من جهاز أمن الدولة. أعتبر وكيل نيابة الجرائم العام، محمد فريد حسن، الصحيفة مخلة بالمواد 66 و 69 من القانون الجنائي مقرونة مع المادة 25 من قانون الصحافة لسنة 1999. كانت الصحيفة قد استأنفت صدورها في اليوم الأسبق للقرار الجديد بعد أن ألغى وكيل وزارة العدل قرار المدعي العام القاضي بإيقاف الصحيفة في بلاغ سابق يتعلق بنشر معلومات عن إطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين، اعتبرتها الجهات المسؤولة غير صحيحة.

إلى ذلك فقد تواصل تهديد الصحفيين بالقتل، بل والشروع في قتلهم أيضاً. ففي 13 يوليو تعرّض محرر صحيفة "خرطوم مونيتور" لمحاولة اغتيال حين دهم مجهول بسيارته سيارة نبال بول، محرر الصحيفة، في شرق الخرطوم. وكان بول قد تلقى تهديدات بالقتل عبر الهاتف في الأيام السابقة للمحاولة.

وفي أغسطس تلقى الحاج وراق وهو كاتب زاوية بصحيفة "الصحافة" تهديداً هاتفياً بالقتل إذا لم يتوقف عن مواصلة نشر مقالات حول حد الردة في الإسلام. كما هدّد المتصل المجهول أيضاً بنسف مقر الصحيفة.

كان رئيس الجمهورية قد تعهّد في خطاب له في 9 أغسطس برفع الرقابة عن الصحف، غير أنه ذكر في ذات الخطاب بأن الصحف ستبقى خاضعة للمجلس القومي للصحافة والمطبوعات، الذي تهيمن عليه الحكومة. ولما كان المجلس هو الجهة التي تقوم بالتضييق على حرية الصحافة، وإنزال العقوبات بها فإن الفترة التالية لتعهده لم تشهد أي تطوّر إيجابي في ما يتعلق بحرية الصحافة.

يجدر بالذكر أن السلطات كانت قد قامت، عقب إعلان رئيس الدولة في أغسطس عن النية لرفع الرقابة عن الصحف، بإنشاء آلية جديدة للرقابة بـ "فلتر الأخبار" عبر مكتب في القصر الجمهوري يودع فيه الصحفيون موضوعاتهم المتعلقة بالحكومة لإجازتها. ورغم تبرير هذه الخطوة بالحرص على سلامة وصحة الأخبار المتعلقة بالحكومة باستقاءها من مراجعها، فهي لا تعدو أن تكون شكلاً جديداً من الرقابة التي تكتم الأفواه وتقيد من الحق في حرية استقاء ونشر المعلومات.

انتهاك حق التعبير والتنقل والاجتماع السلمي:

في مطلع يونيو أصدرت مجموعة تضم 14 إسلامياً، بينهم قادة تنظيمات سياسية وشخصيات منتفذة في السلطة واثنين من أساتذة الجامعات، بياناً يحوي فتوى بتكفير صريح لتنظيم الجبهة الديمقراطية، وهو تنظيم طلابي، و"أحزاب ومعتنقي الديمقراطية والاشتراكية والموالين للنصارى" على حد تعبير الفتوى.

كانت فتوى مماثلة قد صدرت في شهر مايو الماضي بإهدار دماء عدد من القادة والنشطاء والصحفيين المعارضين. وعرضت الفتوى جائزة مالية قدرها عشرة مليون جنيه مقابل حياة كل فرد ورد اسمه في القائمة.

يعتبر هذا الإتجاه الذي تبنته الجماعة الإسلامية في السودان منذ أوائل الثمانينيات، تطوراً لمناخ التطرف والعنف السائد في البلاد، ونتاجاً لروح الاستعلاء الديني والثقافي والعرقى الذي تمارسه هذه الجماعة بدعم السلطة الحاكمة.

وفي 2 يونيو منعت السلطات الأمنية وفداً من نساء جبال النوبة من مغادرة الخرطوم للمشاركة في مؤتمر ينعقد بمدينة كودة في جبال النوبة، وفي 18 يونيو قامت بفض اجتماع سلمي لناشطين سياسيين في الخرطوم انعقد بمنزل أحد النشطاء، وفي 2 يوليو منعت الناشط من عقد مؤتمر صحفي كان دعا إليه في مكتبه (لمزيد من التفاصيل أنظر تحت عنوان اعتقالات).

انتهاكات ضد المرأة:

في 21 يونيو أعلن رئيس الدولة رصد 5.5 مليون دينار لصالح مشروع يهدف لتجهيز زي خاص بالطالبات الجامعيات يستوفي الشروط "الدينية". وقال الرئيس أن الحكومة ستقوم باستيراد 300000 قطعة من الزي الخاص الجديد من الصين لمقابلة احتياجات العام الدراسي 2003 - 2004. وسوف يتم فرض ارتداء هذا الزي "الإسلامي" على جميع الطالبات بالجامعات السودانية. يتكوّن الزي الإلزامي من جيبية فضفاضة طويلة وقميص فضفاض وغطاء للرأس (خمار) وفق "الشروط الإسلامية". ولا يهدف القرار فقط إلى إلزام الطالبات بالزي الإسلامي، بل تكمن وراء أيضاً أهداف منفعة مالية لصالح القائمين على أمر المشروع إذ تبلغ كلفة الزي الواحد ما بين 1500 - 5000 دينار (نحو 20 دولار) ما يتجاوز إمكانيات كثير من الطالبات. يبلغ عدد الطالبات المدرجات بالجامعات السودانية نحو 175000 طالبة.

قال وزير التعليم العالي إن القرار يهدف للوفاء بالإلتزامات الدينية والوطنية للحكومة، و "لقد حافظنا على مظهر فتياتنا كما هو منصوص عليه في قانون الشريعة في القرآن".

وإثر قيام السلطات الأمنية في مطلع يونيو بتوقيف عشرات النساء المتحدرات من جبال النوبة، أمرت السلطات بإغلاق منظمين نسويين هما اتحاد نساء جبال النوبة ومنظمة رويعة Ruayya Org، ووقف نشاطهما.

وفي سبتمبر انتقد رئيس الدولة الدعوات لوقف ختان الإناث في السودان، واتهم جهات لم يسمها بتحريك الحملة ضد الختان، وقال إن هناك دوائر تتريص بالإسلام والمسلمين تحرك حملات منع ختان الإناث. وكان الرئيس يعقب مؤمناً على دعوة لأحد أئمة المساجد (الشيخ عبد الحي يوسف إمام وخطيب مسجد حي الدوحة بجبرة) بإتباع "ختان السنة" الذي قال إن أهل الطب اتفقوا على أن نفعه أكثر من ضرره! مشيراً إلى أن "المذاهب الأربعة" قالت بفضله من قائل بكونه سنّة، أو واجباً، أو مكرمة للنساء، وشن هجوماً عنيفاً على الأصوات المطالبة بمنع ختان الإناث وقال إنها "مطية" يستغلها الأعداء ليطعنوا بها الإسلام. رئيس الدولة أشاد بدور العلماء في تبصير الأمة وهديتها إلى سبيل الرشاد.

الاعتقالات الإعتباطية:

في 2 يونيو اعتقلت السلطات الأمنية في الخرطوم 38 امرأة ينتمين إلى اتحاد نساء جبال النوبة وثلاثة رجال كانوا برفقتهم أثناء مغادرتهم العاصمة للمشاركة في مؤتمر ينعقد بمدينة كودة في منطقة جبال النوبة. قام خمسة من عناصر الأمن مسلحين ببنادق آلية AK-47 ومسدسات باقتياد المعتقلين إلى مقر جهاز الأمن حيث جرى تفتيشهم بصورة عدائية ومستفزة أثناء توجيه الإساءات اللفظية لهم. كما تمت مصادرة كافة متعلقاتهم الشخصية بما فيها الهواتف النقالة والأموال وجهاز كمبيوتر شخصي نقال ووثائق ومواد غذائية. كان من بين النساء اللائي جرى اعتقالهن: إيمان جيمس كوكو، هويدا صديق، بثينة زيدان إدريس، أمانة عوض حماد، جعفرية أحمد إسماعيل، سهيل الفكي علي، هدى إسماعيل، رفقة إبراهيم عمر، سهير عبد الله إدريس، أمال إسماعيل محمد، بثينة إبراهيم دينار، عائدة موسى مكي، بخيثة أبو إبراهيم، باربارا فيليب كالمو، هدى داوود حامد، وحيدة محمد حامد، نادية خواجه موسى، عزيزة سليمان الزين، سمية عثمان علي، عفاف محمد غبوش، نجلاء أحمد حامد، مياسة مكي عبد الرحمن، هدى إسماعيل، سهير عبد النبي، سمر عبد الله كودي، هويدا بشير كومي، اعتماد عيسى الفكي، كوشادي كوكو، أم جمعة درمان كافي، كاميليا إبراهيم كوكو، وزينب بلندية، والأخيرة ظلت في حالة استدعاء يومي لجهاز الأمن حتى منتصف يونيو. أما الرجال الثلاثة الذين كانوا برفقتهم وجرى أيضاً اعتقالهم فهم: عامر ناصر نميري، إبراهيم علي ونورين.

وفي 8 يونيو تم اعتقال الصحفي فيصل الباقر بمطار الخرطوم عند عودته من مؤتمر حول الصحافة والاعلام انعقد في اليونان.

وفي 18 يونيو داهم نحو 30 من عناصر الأمن منزل ناشط سياسي وحقوقى في ضاحية الخرطوم 2 وقامت باعتقال 45 سياسياً وناشطاً كانوا يشاركون في اجتماع. وجرى لاحقاً إطلاق سراحهم بعد تسجيل أسمائهم وتحذيرهم من القيام بأنشطة سياسية معارضة للحكومة. كان من بين الذين اعتقلوا: سيد احمد الحسين، نائب

الأمين العام للحزب الاتحادي الديمقراطي، والحاج وراق، الأمين العام لحركة القوى الحديثة، وإبراهيم الشيخ، الأمين العام لحزب المؤتمر الشعبي، وغازي سليمان المحامي والناشط الحقوقي، قبريال ماتور مليك، د. جعفر كرار، د. عبد الرحمن الغالي، د. عبد الرحيم بلال، جيمس أسو، جون كوال، اللواء (م) فاروق المفتي وممثلين لأحزاب سياسية معارضة أخرى. كان الهدف من الاجتماع مناقشه إعلان صدر عن ثلاثة أحزاب تحت أسم "إعلان القاهرة" تضمن تأييداً لاستثناء العاصمة من تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

وفي 2 يوليو اعتقلت السلطات الأمنية الناشط الحقوقي غازي سليمان قبيل ساعتين من عقد مؤتمر صحفي كان قد دعا له في مكتبه لإعلان وثيقة داعمة لإعلان القاهرة. وما بين يومي 5 و8 يونيو اعتقلت السلطات الأمنية أربعة آخرين كانوا شاركوا في صياغة الوثيقة وهم: إبراهيم الشيخ، عبد القيوم عوض، أزهرى الحاج، ومحمد الحافظ. جرى إطلاق سراح غازي بعد نحو أسبوعين.

وفي 31 يوليو داهم رجال الشرطة والأمن السكن الجامعي لطلاب جامعة جوبا في الخرطوم الواقع بضاحية كافوري، وقاموا باعتقال 62 من الطلاب بتهمة القيام بـ "أعمال هدامة". وكان 15 طالباً منهم على الأقل قد أصيبوا أثناء الاعتقال. وفي 2 أغسطس أعلنت السلطات إغلاق الجامعة إلى أجل غير مسمى في محاولة لوقف احتجاجات الطلاب المطالبين بإجراء انتخابات لتكوين اتحادهم الطلابي.

وفي 3 أغسطس اعتقلت قوات الشرطة والأمن 20 طالباً من جامعة السودان إثر تظاهرات احتجاجية.

وبعد إعلان رئيس الجمهورية عزمه على إطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين في البلاد، جرى إطلاق سراح 32 سياسياً في الأسبوع الأول من أغسطس، بينهم 13 من أعضاء حزب المؤتمر الشعبي. لكن معلومات المنظمة تشير إلى وجود معتقلين سياسيين آخرين ما يزالون رهن الاعتقال دون توجيه أية تهمة بحقهم. وفي سجن كوبر بالخرطوم بحري يوجد عشرة معتقلين على الأقل بينهم د. حسن الترابي، رئيس حزب المؤتمر الشعبي المعتقل منذ 2001. وفي 19 أغسطس أصدر رئيس الجمهورية قراراً بتجديد اعتقال الترابي لستة أشهر أخرى جديدة.

وفي 10 أغسطس اعتقل جهاز الأمن والاستخبارات عدة مواطنين من عديلة وقبيلة المعاليا وقام بترحيلهم لمدينة نيالا. وكان من بين المعتقلين: الحاج حمدون جاد الكريم، الطيب يوسف، عبد العزيز علي الشيخ، فتراني عيسى مصطفى، فرح معلا عبد المحمود، عبد الرحمن أبكر محمد، محمد الشريف خمجان، حامد آدم باشا، محمد آدم محمد صالح وهو طفل في العاشرة رفضت إدرارة سجن نيالا تسلمه فظل معتقلاً في حراسة نيالا الأوسط، الصادق ياك، كبر دوت، دينق موت دينق، والثلاثة الآخرين من أبناء الدينكا.

وفي 14 أغسطس تمّ اعتقال 14 مواطناً في مدينة كاس قبل ترحيلهم لسجن نيالا العمومي. والمعتقلون هم: الحاج تيراب محمود، الهادي إسحاق، عمار محمد أحمد، إبراهيم موسى، نور الدين جبير علي، ابوالقاسم تلب، محمد آدم نور، علي عبد الرحمن، الفاضل آدم، يحي عبد الله، هاشم محمد، عبد العزيز عبد الكريم، إسماعيل محمد أحمد، أبكر آدم شعيب. وقد تعرض المعتقلين للتعذيب على يد عناصر الأمن والاستخبارات.

وكانت مناطق دارفور في غرب السودان مسرحاً لاعتقالات واسعة استهدفت بشكل رئيسي المنتمين إلى عرقيات افريقية كالفور والزاغوة. في منتصف يونيو اعتقلت السلطات الأمنية في مدينة الفاشر عبد الرحيم عرجه، واعتقلت في 5 يوليو علي منصور مانياس وفي 17 أغسطس اعتقلت كلاً من صديق الطاهر تارجوك ومحمد ألياس، وجميعهم من أبناء الزقاوة. وحسب المعلومات التي حصلت عليها المنظمة فقد تمّ إخضاعهم للتعذيب وحرمانهم من أبسط حقوقهم ومنها مقابلة ذويهم أو محاميهم.

وفي 20 أغسطس اعتقلت السلطات الأمنية في زانجي ثلاثة أشخاص من أبناء الفور هم: يعقوب خميس، سمير إبراهيم عبد المالك، ومحمد نصر الدين محمد أحمد، وفي 25 أغسطس اعتقلت كلاً من أحمد أرباب محمد جمعه، وموسى عبد الرحمن أبكر. ويجري اعتقال الخمسة في منشأة للاعتقال تابعة لجهاز الأمن في زانجي.

وفي 29 أغسطس اعتقلت السلطات الأمنية في مدينة زانجي آدم خواجه، مزارع من أبناء الفور، وما تزال أسرته لا تعلم بمكان اعتقاله.

وفي 12 سبتمبر اعتقلت السلطات الأمنية القس جيمس أكول مايوين، الذي يدير مدرسة تتبع للكنيسة الأسقفية في الخرطوم.

المحاكم الخاصة:

واصلت محاكم الطوارئ الخاصة أعمالها بغرب السودان، ويمثل حالياً (مع نهاية شهر سبتمبر) 53 شخصاً أمام محكمة خاصة في نيالا. يتوقع على نطاق واسع أن تصدر المحكمة أحكاماً بالإعدام بحق هؤلاء المتهمين والذين ينتمون إلى مجموعة المعاليا. وحصلت المنظمة على معلومات تفيد بأن المتهمين تعرضوا لعمليات تعذيب قاسي لاستنطاقهم وانتزاع اعترافات منهم. تضمن التعذيب الضرب والركل بعصي غليظة وأعقاب البنادق، وخضع

بعضهم لصدّات كهربائية. ومن بين المتهمين أربعة تقل أعمارهم عن 18 عاماً، وآخرين فوق الستين. وطال التعذيب حتى المسنين منهم، وعلمت المنظمة أن الحاج حمدو جاد الكريم، وهو معاق في الـ 68 من العمر، قد أصيب بكسر في أحد ضلوعه من جراء الضرب.

وكان قد جرى اعتقال المذكورين وأربعة آخرين خلال شهري يوليو وأغسطس بعد إتهامهم بالقتل وحباسة أسلحة دون تصريح.

الحرب الأهلية في غرب السودان:

شهدت الأشهر الأربعة الماضية استمراراً وتصاعداً في حجم الأعمال العدائية في دارفور بغرب السودان. أودت هذه العمليات بأرواح آلاف المدنيين ودفع عشرات الآلاف للنزوح عن بلداتهم. وخلال شهري يونيو ويوليو قتلت القوات الحكومية والمليشيات التابعة لها نحو 3000 شخص، وشرّدت نحو 100 ألف مواطن، معظمهم من النساء والأطفال، وأحرقت نحو 100 قرية، كما قامت بردم وتسميم الآبار وتلغيمها. وكانت أكثر المناطق تعرضاً للهجمات: مناطق كيكابية، الطينة، كتم، كدجنبر (شرق جبل مرة)، وادي صالح، مفرج، كاس، وكورنو.

ومن بين الأمثلة القليلة على ما شهدته المنطقة: خلال الفترة ما بين 17 و19 يونيو أغارت القوات الحكومية والمليشيات المتحالفة معها وقوات الدفاع الشعبي والجنجويد (وهي مليشيات عربية) على منطقة كورما (75 كيلومتراً غرب الفاشر) وقتلت عشرات المواطنين. كان من بين القتلى والجرحى الذين أمكن معرفة أسمائهم: معتصم عبد الله هارون سليمان، طالب 19 عاماً - إبراهيم حميد، شيخ قرية ديلاديمه 50 سنة - حميد محمد عبد الله، مزارع 35 سنة - محمد بن إبراهيم، مزارع 41 سنة - إسماعيل محمد، مزارع في الأربعينيات - آدم يعقوب، مزارع 50 سنة - إبراهيم سليمان عبد الرسول، مزارع 45 سنة - محمد آدم هارون، مزارع 40 سنة - سركاب آدم، مزارع 47 سنة - خديجة محمد سليمان، ربة منزل في الثلاثينيات. تمّ خلال الغارات نهب وحرق قرى من بينها: جوروتوبه، بيبى، ديلاديمه، جومبا، روما، أم ليونه، كورون، طرطوره، تنقولات، اوستاني، تاماراتق. وأصيب خلال الغارات قرويين عديدين منهم: عبد الله تين محمد، في الأربعينيات - أبكر هارون أبكر، 40 سنة - محمد عبد الله عبد الرسول، 40 سنة - محمد آدم صالح، 40 سنة.

وفي صباح الجمعة 25 يوليو قامت قوات حكومية تدعمها مليشيات عربية بالإغارة على قرية شوبا، جنوب مدينة كيكابية في شمال دارفور، الأمر الذي أدى إلى مقتل 14 شخص وإصابة آخرين معظمهم من المسنين. كان قتلى الغارة هم: إسماعيل آدم تره، 63 سنة - محمد آدم تره، 70 سنة - آدم محمد موسى، 80 سنة - إسحاق بكر هارون، 78 سنة - عبد الله أبكر عمر، 75 سنة - صديق آدم سليمان، 68 سنة - محمد عبد، 60 سنة - موسى داوود - محمد أحمد بخاري، 55 سنة - يحيى محمد سلامي، 45 سنة - محمد إدريس آدم سليمان، 28 سنة - محمد إسحاق أتييم، 23 سنة، علي آدم سليمان، 70 سنة، نور الدين صديق آدم، 13 سنة. وكان من بين جرحى الغارة: حليلة عبد الله أحمد، 78 سنة - آدم محمد أحمد شوقار، 43 سنة - وخاطر صالح محمد، 32 سنة.

وإثر قيام القوات التابعة لحركة تحرير السودان باحتلال مدينة كتم في أول أغسطس شنت القوات الحكومية المسنودة بالمليشيات العربية هجمات انتقامية في دارفور استهدفت الزغاوة، الفور، المساليت وغيرهم من المتحدرين من أصول إفريقية. وبعد انسحاب قوات الحركة من المدينة قامت القوات الحكومية خلال الفترة ما بين 5 و7 أغسطس بقتل نحو 300 شخص فيها خارج نطاق القضاء بالإشتباه في كونهم عملاء للحركة. وكان الهدف من ذلك زرع الخوف في المتحدرين من أصول إفريقية في المدينة. وفي وقت لاحق اعترف حاكم شمال دارفور، يوسف كبير بالواقعة، غير أنه نسبها إلى مليشيات "تزعّم" صلتها بالحكومة.

وفي 18 أغسطس استهدفت الهجمات الحكومية 19 قرية جنوب وغرب الجنيّة، وجرى في هذه الهجمات تدمير قرى بأكملها في طربييه، كاسيه، شيشتا، حرزه وقرى أخرى حول مدينة بيده. وقتل في الهجمات نحو 50 من أبناء المساليت والداجو والسينجر. وفي 19 أغسطس استهدفت الهجمات الحكومية خزان ابوجديد، طويله، هاجر، وقرى أخرى ما أسفر عن مقتل عشرة أشخاص.

إدى عنف العمليات العسكرية في المنطقة إلى نشر حالة من الفزع الواسع في أوساط المتحدرين من أصول إفريقية في الغرب وإلى دفع مئات الآلاف منهم للنزوح من بلداتهم والاحتماء بأطراف المدن الكبيرة. تدهورت بشكل خطير الخدمات الصحية والتعليمية في المنطقة. كما ساء الوضع الغذائي من جراء استهداف مصادر الرزق والغذاء للقرويين. ومن أمثلة ذلك قيام مليشيات عربية في 25 أغسطس بالإغارة على ونهب مستودع للحبوب ووحدة صحية وسوق محلية في بلدة مادو في منطقة سايه. وحالت الظروف الأمنية دون وصول مواد الإغاثة، ففي كتم، على سبيل المثال، علقت السلطات المحلية عمل منظمات الإغاثة لسنة أشهر، وفي كيكابية لأكثر من عام.

ورغم توقيع الحكومة السودانية وحركة تحرير السودان على اتفاق بوقف إطلاق النار في 3 سبتمبر (وسرى العمل به اعتباراً من 6 سبتمبر) فقد واصلت القوات الحكومية هجماتها، وفي 13 سبتمبر قتلت القوات الحكومية 75 مدنياً في هجوم على كشايبه، شمال كتم. كما قتل 16 شخصاً آخر في هجوم للقوات الحكومية على منطقة ابو ليّه. وفي 22 سبتمبر قامت قوات الحكومة بالإغارة على وإحراق عدد من القرى في محيط وادي صالح، كتم وجبل مرة.

الغارات الجوية ضد المدنيين:

خلال أيام 17، 18 و19 يونيو شنت الطائرات الحكومية غارات جوية على ما يزيد عن عشرين بلدة في غرب السودان ما أسفر عن مقتل 300 من القرويين وإصابة مائتين على الأقل. وإتهمت حركة تحرير السودان الحكومة باستخدام غازات سامة في القصف، غير أنه لم يتم التحقق من صحة ذلك القول.

وما بين الساعة الخامسة والنصف والسابعة من مساء السبت 21 يونيو أغارت طائرة حكومية مرتين على بلدة كوروني (250 كيلومتر شمال غرب الفاشر) واستهدفت بئراً يرتادها القريوين للحصول على المياه. نتج عن الغارتين مقتل عدد من القرويين من بينهم: أبكر يوسف شمو هارون، طالب 15 سنة - عيشة عثمان نور، ربة منزل 25 سنة - زينب عثمان، طالبة 13 سنة - نضال إسماعيل، طفلة 7 سنوات - خديجة بريده حقو، ربة منزل 32 سنة - محمد أحمد، طالب 17 سنة - محمد عبد الله إسماعيل، راعي 20 سنة - فاطمة محمد إسماعيل، ربة منزل 38 سنة - صفاء محمد علي، ربة منزل 40 سنة. وتسببت الغارة في هلاك الكثير من الماشية والضأن والأغنام والخيول والجمال وتدمير 87 منزلاً تدميراً كاملاً. وهجر نحو 20000 من المواطنين المنطقة بحثاً عن السلامة في محيط المدن الكبرى.

وفي 27 أغسطس قامت طائرة من طراز انتينوف تابعة للحكومة بالإغارة على هبيله وعدد من القرى المجاورة لها جنوب مدينة الجنيينة ما أسفر عن مقتل 27 من المسالييت وجرح 33، كانت جراح معظمهم خطيرة. وكان من بين القتلى عدد كبير من النساء والأطفال منهم: سعديه عبد الرحمن أرباب، سعديه محمد مطر، ماجدة يعقوب، تقوى موسى بلال، فاطمة أحمد محمد، حليلة عبد الله آدم، فاطمة عبد الله يحيى، زهرة عبد الله يحيى، منيرة آدم عبد الكريم، سعيدة حرّان، زينب أحمد يوسف، ندى عبد المجيد محمد علي، ونام عبد المجيد محمد علي، حليلة آدم بلّه، وصفاء يعقوب. وكان من بين الذكور القتلى (ومن بينهم أطفال) مصطفى عبد الرحمن أرباب، إبراهيم حسن، زاهر آدم عبد الكريم، عبد اللطيف عبد الرحمن إسحاق، أحمد عمر شعيب، أبكر هارون إسماعيل، توربو يونس حمدي، عمر آدم بحر، حمدان بحر خير الله، و(طفل) لعبد الرحمن نابي. وكان من بين جرحى الغارة كل من عايدة أحمد حسين، مروة يعقوب إبراهيم حسن، صفاء يعقوب إبراهيم حسن، رقية سليمان أحمد، طيبة إسحاق أبكر، عيشة تاج الدين عبد الرحمن، حاجة أحمد محمد، أم الناس صيام، فتومة محمد آدم، فاطمة محمد علي، رقية عثمان عبود، محمد يوسف علي، عبد الله قمر محمد، يوسف آدم زكريا، إسحاق التوم إبراهيم، عبد الله علي مصطفى، محمد قمر عبد الله، مبارك عبد الله محمد، محمد هارون أحمد، الطيب عبد الرحيم آدم، صديق صيام إبراهيم، عبد الله القوني عيسى، ابوبكر عبد الرحمن أرباب، آدم عبد الله يحيى عمر، عمر إبراهيم محمد أبكر، حبيب ابوبكر محمود، جمعه محمد إسحاق، محمد عبد المجيد محمد، جمعه عمر موسى، محمد إبراهيم خميس، أيوب آدم يعقوب، داوود آدم محمد الميرغني، وإسحاق التوم إبراهيم.

وفي مطلع سبتمبر شنت طائرات من طراز انتينوف ومروحيات مزودة برشاشات هجمات على مناطق كوروني، ديسه، أمبرو، تينا، مورني، سبرا، سليّه، أم سيال، كورنجو، حمرة، دايا وقرى أخرى.

خطوات إيجابية نحو وقف نهائي للإقتال:

في الإِسبوع الأخير من يونيو اتفقت الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان على تجديد اتفاق بوقف إطلاق النار في منطقة جبال النوبة كان جرى توقيعه في يناير 2002. دخل الاتفاق الجديد حيّز التنفيذ اعتباراً من 20 يوليو ويسري لغاية يناير القادم. كانت فترة وقف إطلاق النار الأخيرة متماسكة، ولم يتم تسجيل انتهاكات خطيرة.

وفي 30 يونيو جدّدت الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان العمل باتفاق لوقف إطلاق النار في جنوب السودان تمّ الوصول إليه في أكتوبر الماضي. ورغم التزام الطرفين بالاتفاق خلال الفترة الأخيرة إلا أن المنطقة شهدت أعمال عدائية قامت بها مليشيات تقول إنها لم تكن طرفاً في الاتفاق وبالتالي فهي ليست المعنية به. ونحو منتصف سبتمبر اتفق الطرفان مرة أخرى على تجديد الاتفاق الذي يسري لمدة شهرين.

في 3 سبتمبر وقعت الحكومة السودانية وحركة تحرير السودان في مدينة ابيشي التصادمية اتفاقاً لوقف إطلاق النار في غرب السودان يسري مفعوله لستة أسابيع اعتباراً من 6 سبتمبر. ووافق الطرفان على أن يقوم كل منهما

بالسيطرة على القوات والمجموعات المسلحة غير النظامية في المنطقة، كما جرى تشكيل لجنة ثلاثة الأطراف (تضم ممثلين عن الدولة الوسيطة تشاد) لمراقبة ومتابعة الموقف والتزام الأطراف بتعهداتها.

وفي الأسبوع الأخير من سبتمبر وقعت الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان على اتفاق حول الترتيبات الأمنية يحدّد حجم قوات الطرفين في الشمال والجنوب وفق أرقام محدّدة وإعادة انتشارها في كل المناطق وفق جدول زمني. كانت هذه الترتيبات الأمنية تمثل أحد العقبات الكبيرة في طريق التوصل إلى تسوية شاملة عبر المفاوضات التي ترعاها مجموعة الايقاد في كينيا. لكن، ما تزال هناك قضايا أخرى يتعيّن الاتفاق حولها قبل الوصول لتلك التسوية، ومنها قضايا تقسيم السلطة والثروة، وثلاث مناطق متنازع عليها (جبال النوبة، جنوب النيل الأزرق، ابيي).

ثيولوجية التعليم في السودان

دراسة الأمين العام محمد حسن داوود

مدخل:

يتعين على التعليم أن يؤدي لوظيفتين في حياة الفرد والمجتمع، الأولى هي المنفعة والثانية هي الثقافة. ويراد من التعليم أن يمكن الفرد من أن يصبح أكثر قدرة على تحقيق الأهداف المشروعة لحياته.

كما يتعين على التعليم أن يدرّب الفرد أيضاً على التفكير السريع، الحاسم والفعال للتحرك من أنصاف الحقائق والتعامل والدعاية، إلى جانب تمكين الفرد من تحييص وتقييم الدليل، تمييز الصواب من الخطأ، وما هو حقيقي من ما هو زائف.

بالتالي فإن الهدف من التعليم هو تمكين الفرد من التفكير بعمق وبشكل ناقد.

ينظر الناس للتعليم، على امتداد العالم، باعتباره يمهد الطريق لنظام اجتماعي أكثر إنسانية وعدلاً، على أساس أن التعليم النوعي يغرس في النشء قيم إنسانية هامة من نحو العدالة، التحمل، والسلام. كما ينظر للتعليم باعتباره عاملاً حاسماً للتنمية المستدامة، الحماية البيئية، تحسين الصحة والمشاركة في العمليات الاجتماعية والسياسية الديمقراطية. ويعتبر التعليم، وفقاً للبنك الدولي، العنصر المساهم الأكثر أهمية للنمو الاقتصادي الوطني.

لقد شهد العالم في النصف الثاني من القرن العشرين إهتماماً متزايداً بالتعليم. كما يحظى الدعم السياسي للتعليم بزخم متعاظم على المستوى الدولي. وعقب تبنيها بواسطة الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1989 وحظيانها بمصادقة دولية واسعة، فإن معاهدة حقوق الطفل تمثل نقطة إنقضاء مهمة للحكومات في ما يتعلق بسياسات التعليم والتدخلات.

تدعو المادة 28 من المعاهدة للتعليم كحق أساسي، ولتعليم أساسي إلزامي مجاني كأولوية قصوى. وتشجع المعاهدة على تطوير أشكال مختلفة من التعليم الثانوي، بما فيه التعليم العام والمهني، مشيرة إلى ضرورة توفيرها لكافة الأطفال.

وتقول المادة 29 من معاهدة حقوق الطفل بالآتي:

"1- توافق الدول الأعضاء على أن التعليم يتعين توجيهه للآتي:

(أ) تنمية شخصية الطفل، مواهبه، وقدراته العقلية والنفسية لأقصى حدودها،

(ب) تنمية الاحترام لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، وللمبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة،

(ج) تنمية الاحترام لوالدي الطفل، وللهوية، واللغة والقيم الخاصة به أو بها، وللقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل، والبلد الأصلي الذي تحدر منه، وللحضارات التي تختلف عن حضارته أو حضارتها،

(د) تهيئة الطفل لحياة مسؤولة في مجتمع حر، في روح التفهم، السلام، التحمل، المساواة بين الجنسين، والصداقة بين كل الشعوب، والمجموعات العرقية، الوطنية والدينية والأشخاص المتحدرين من المجموعات الأصلية للسكان،

(هـ) تنمية الاحترام للبيئة الطبيعية".

وتشير المادة 30 من المعاهدة لما يلي:

"في الدول ذات الأقليات العرقية، الدينية أو اللغوية أو التي يعيش فيها أشخاص يتحدرون من مجموعات سكان أصليين، فإن الطفل الذي ينتمي لمثل هذه الأقليات أو يتحدّر من مجموعات سكان أصليين لا ينبغي حرمانه من الحق، بالمشاركة مع الأفراد الآخرين لمجموعته أو مجموعتها، في التمتع بثقافته أو ثقافتها الخاصة، اعتناق أو ممارسة دينه أو دينها الخاص، أو استخدام لغته أو لغتها الخاصة".

وتتضمن المادة 38 من المعاهدة على إشارة خاصة للالتزام الدول الأعضاء باحترام وتأكيد احترام القانون الإنساني الدولي على نحو ما ينطبق على الطفل.

ليس من السهل تحديد مواصفات خاصة للتعليم النوعي، إذ أن الثقافات المختلفة وأنظمة التعليم المختلفة تنطوي على قيم ومهارات ومناهج مختلفة. غير أنه، وأتى كان معيار التعليم النوعي، فمن الواضح أن الأطفال يتعلمون من خلال "عملية" التعليم وليس فقط من خلال محتوياته. ولما كان الأمر كذلك، فإن قيماً من نحو العدالة والسلام واللاتمييز واحترام سلامة وتكامل الفرد لا تحتاج إلى تضمينها في المنهج الدراسي وحسب، بل وأيضاً في سياسات القبول، أساليب التدريس والتعلم وفي كافة السياسات والإجراءات المتعلقة بالتعليم.

ينظر بعض المعلمين للتعليم على أنه يساعد في إحداث تغيير اجتماعي واسع، عن طريق إعانة الأطفال لكي يصبحوا أكثر وعياً بالعوامل الشخصية والاجتماعية التي تشكل حياتهم ومنحهم المزيد من التحكم في مصيرهم. إن التعليم غير السلطوي، المتمحور حول المتعلم وليس المعلم، أو المناهج التعليمية الفعالة هي خير ما يوصى به بغية تطوير هذه المهارات بشكل أمثل.

في التعليم الذي يتمحور حول المتعلم، فإن المعلم يقوم بتسهيل العملية التعليمية أكثر من قيامه بمهمة التدريس، ويعين التلاميذ في تحديد خطى التعلم -- التي تتحدد أكثر بقدرة الفرد وحماسه مفضلاً عن الإذعان لمعايير مفروضة بعامل السن. يستطيع التلاميذ في هذه الحالة المساعدة في تطوير المشروعات التعليمية بل وحتى في مراقبة البرنامج التعليمي في بعض الأحيان. وفي هذه الحالة أيضاً، يتم إيلاء الإهتمام لكافة مجالات التنمية الشخصية والاجتماعية. إن الأطفال يتم تشجيعهم على إمتلاك فهم كامل للمجتمع المدني والأنشطة المدنية وعلى المشاركة في شؤون المجتمع كوسيلة للوصول للمواطنة الفعالة والكرامة. إن محط الإهتمام في ممارستهم الشخصية هو التعاون، الثقة المشتركة، الاحترام والكرامة.

على النقيض من ذلك فإن التعليم المتحور حول المعلم، يكون تعليمياً من اتجاه واحد لا يأخذ في اعتباره احتياجات الطرف الآخر الذي يتحول إلى متلقي سلبي. وينتج عن ذلك في النهاية جيل مسلوب القدرة من التفكير والتعبير عن الرأي.

ثابر التيار الديني المتشدد في السودان لعقود طويلة على تسخير خطابه الديني لقمه وإبتراز وإرهاب خصومه والمخالفين له في الرأي وحملهم على الإنصياع لإطروحاته. وعن طريق إغراق المناهج التعليمية بالخطاب الديني يهدف التيار المتشدد إلى خلق جيل ينشأ على الخضوع والتسليم المطلق، دون جدال أو أعمال للفكر.

من ثم، فإن المادة الدينية البحتة تشغل جانباً كبيراً من المنهج التعليمي وساعات التحصيل الدراسي. ومنذ مرحلة مبكرة (الصف الثالث الابتدائي) يحصل التلاميذ على مادتين دراسيتين دينيتين منفصلتين، هما مادتي "الفقه والعقيدة" و "القرآن الكريم" مصحوباً بالتجويد- اللتين يتم تخصيصهما كمواضيع مستقلة في الجدول ولكل منهما كتاب خاص ودرجة في الامتحان منفصلة عن بقية الفروع الأخرى.

أكثر من ذلك، فإن بعض فروع مادة التربية الإسلامية مثل حديث الآداب والسيرة والتهديب تم تحويلها إلى محاور أخرى مثل "اللغة العربية" و "الإنسان والكون" و "الفنون التطبيقية"، والأخيرتان مادتان مستحدثتان.

واللغة العربية لا يتم تدريسها فقط باعتبارها وسيلة تخاطب تتحدث بها الغالبية في وجود لغات ولهجات أخرى- بل لكونها لغة القرآن التي يتعين إتقانها. وتنتج كافة فروع اللغة التي يتم معالجتها في كتب مادة اللغة العربية - القراءة بنوعها الجهرية والصامتة، النحو، الأناشيد، المحفوظات، الإملاء، الخط، والتعبير- بشكل مباشر أو غير مباشر إلى ترسيخ قيم واتجاهات دينية بعينها.

وتعرف مقدمة "الإنسان والكون" الكتاب بكونه "جديد في أهدافه ومراميه، وفي محتواه وأسلوب عرضه". وتشير المقدمة إلى أن تدريس هذا الكتاب في مرحلة التعليم الأساسي، الهدف منه أن: (يعرف بالإنسان، خلقه، غايات خلقه، مكانته بين المخلوقين، وتكريمه بالرسالة، وتسخير الكون له واستخلافه عليه). أما في محتواه فإنه يقوم على: (دراسة الإنسان والكون، والعلاقة بينهما، في نسق متناغم متناولاً هذه العلاقة في بعدها الزمني، والمكاني، والاجتماعي، والعلمي في تفسير يستصحب المنحى الإيماني التي بنى بأجيانا عن مزالق التفسير المادي). ويحل هذا الكتاب محل أربع مواد كان يسبق تدريسها كمواضيع مستقلة في السابق هي: التاريخ، والجغرافيا، والعلوم، والاجتماع.

وتهدف مادة "الفنون التطبيقية"، وهي مادة مستحدثة أخرى في مرحلة التعليم الأساسي إلى (تزويد التلميذ والتلميذة بالمعارف والمفاهيم المرتبطة) بموضوع ما، بجانب ما يتصل به من مهارات وقيم واتجاهات، وتحديد الموقف (الشرعي) منه. فعلى سبيل المثال يتناول كتاب "الفنون التطبيقية" للصف الخامس (المبلس) لينتهي إلى تحديد مواصفاته (شرعاً و عرفاً) كما تشير مقدمته.

وبجانب ما سبق استحدث القائمون على أمر التعليم مادة جديدة في المرحلة الثانوية هي مادة "العلوم العسكرية". وتهدف المادة كما تقول إلى (تطوير مفاهيم الأسرة والمجتمع) وغرس التربية العسكرية فيهما، وتحبيب العسكرية للطلاب. وتأتي هذه الخطوة في الواقع استكمالاً لخطوات أخرى جرى اتخاذها في ذات الاتجاه ومنها تخصيص مقاعد دراسية للعسكريين في الجامعات والمعاهد العليا، وتوثيق العلاقات التعاونية والمعرفية بين المؤسسات العسكرية والحكومية وغير ذلك.

وفيما يلي إستعراض لبعض محتويات المنهج الدراسي في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي.

الصف الأول:

يدرس تلاميذ وتلميذات الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي كتاب "الأساس في القراءة" بجزأيه الأول والثاني. وجرى إعداد الكتاب على أساس "التكامل المعرفي بين المواد وفقاً لما يجري في مواقف الحياة المختلفة، وما يتلقاه الإنسان فيها من معارف وما يكتسبه من مهارات، وما ينمو لديه من اتجاهات نحو القيم الفاضلة"، كما تقول مقدمته. ولما كان الكتاب ينظر للغة العربية والرياضيات باعتبار كليهما "أداة تعبير"، فهو يدمج مادة الرياضيات في مادة اللغة العربية، كما أنه يعتبر "الأنشطة معززات لتعليم اللغة بجانب ما تنفرد به من خصوصية تقتضيها طبيعة النشاط، فالنشاط المسرحي والموسيقى، التربية الفنية والتربية الرياضية كلها تعزز - بأقدار متفاوتة- مهارات نطق الأصوات والإلقاء، والقراءة والكتابة والتعبير، وحفظ الأناشيد، والمهارات الخاصة بالرياضيات".

روعي في محتوى كتاب "الأساس في القراءة" أن يشتمل على موضوعات تعالج في ظلها القيم والاتجاهات المرغوب فيها والمخصصة في هذه الحلقة، كما روعي أن تعالج المفاهيم الأسرية والبيئية التي تعين التلميذ على التكيف مع نفسه وأسرته وبيئته". وتضيف مقدمة الكتاب "روعي في حصيلة التلميذ من الألفاظ ألا تقل عن أربعمئة كلمة تشمل الأسماء والأفعال والأدوات ومصطلحات الرياضيات والألفاظ التي يستخدمها التلميذ في مجال العبادات".

والكتاب يستخدم أسماء أعلام من تلك التي يتم وصفها بـ "خير الأسماء" فهي من نوع أحمد وأمين وخالد وزينب ومريم، دون أن يرد فيها اسم تخالطة العجمة. وللدقة فقد وردت ثلاثة أسماء أعجمية في الدرس التاسع والعشرين بعنوان "تجميل الحي". وفيه يقول خالد إن أهل الحي تعاونوا في يوم الجمعة على تنظيف وتجميل الحي (هذا حمد، وهذا شول وهذا آدم وهذا أدروب وهذا كوة). قام الجميع بنظافة الحي وإحراق الأوساخ وردم الحفر وغرس الأشجار). وتوضح الأمثلة التدريبية الواردة فيه التمييز على أساس الجنس. فعلى سبيل المثال يقول أحد الأمثلة التدريبية: (تسابق حسن وخالد وأمين، وحضر السباق بنتان اثنتان) ص 41، الجزء الأول. ويكرس الكتاب الأدوار التقليدية المخصصة لكل من الذكور والإناث، ومن هذا ما يرد في درس "المطبخ" الذي يرد فيه ما يلي: (قالت زينب: حضر أبي من السوق ومعه اللحم والخضر. ذهب حسن إلى الدكان واشترى الزيت ودفعت ثمنه وأحضر باقي النقود. أخذت أمي الزيت واللحم والخضر، ودخلت المطبخ. قال حسن: أمي تصنع الطعام. قالت زينب: أنا أساعد أمي. أنا أغسل أواني المطبخ) ص 149، 150، الجزء الثاني. وفي التدريبات الملحقة بالدرس يقول حسن (أنا أساعد أبي في إصلاح الشبك).

وتأخذ الأناشيد والمحفوظات الواردة في الكتاب توجهاً دينياً، ومن بين الأمثلة على ذلك نشيد "تحية رمضان" شهر الصوم والقيام، ونشيد "الصلاة" - ونشيد "العام الهجري". كما أن الأناشيد والمحفوظات الأخرى التي يتضمن عليها الكتاب لا تخلو من قيم ومفاهيم دينية. وعلى سبيل المثال يأتي من ضمن نشيد بعنوان "نحن نمشي للدرس" ما يلي: (نحن نمشي للدرس ... ومن الله النجاح، نحن نمشي للدرس ... ومن الله الفلاح).

ويتم تكريس عدد من موضوعات القراءة للتعبير، منها درسا "نحن نتوضأ ونصلي" (ص 155 و160، الجزء الأول)، ودرس "الولد النشيط" (ص 149 و150، الجزء الثاني) الذي يصلي وقت الصلاة. كما يتم تكريس البعض الآخر لخدمة آداب دينية بعينها، ومنها على سبيل المثال درس "أدب الطعام" (ص 157، الجزء الثاني) الذي يقول فيه حسن (أقول بسم الله عند الطعام. وأتناول الطعام بيمينتي. وأمسك كوب الماء بيمينتي. وأقول بعد الأكل، الحمد لله الشكر لله).

الصف الرابع: من بين 53 موضوعاً يتضمنه كتاب مادة اللغة العربية "المنهل" فان 13 منها ذات محتوى ديني بحت، سواء أكانت تتحدث عن شروح لنصوص قرآنية أو أمجاد إسلامية (من نحو غزوات بدر، أحد، الخندق إلخ) أو تعاليم وآداب إسلامية. ويتحدث عدد مماثل من الموضوعات عن قدرة الله وما سخره لعباده من مخلوقات، كما تتجه مجموعة أخرى من الموضوعات نحو بث روح الحماسة والجهاد والإستشهاد في سبيل الدين والوطن. غير أن المواد المضمنة في كتاب "المنهل في اللغة العربية" لا تكاد تخلو في مجملها من الإتجاه لترسيخ قيم واتجاهات دينية.

شأنه شأن كافة مقررات المنهج الدراسي بمرحلتي التعليم، الأساسي والثانوي، يبدأ كتاب "المنهل" وينتهي بنص ديني. فالكتاب يبدأ بدرس عنوانه "من كتاب الله" وينتهي بدرس عنوانه "أم المسيح" الذي يتناول مولد المسيح حسب الرواية الإسلامية بالطبع.

يتحدث درس "من كتاب الله" عن القراءة ويشير إلى أهمية القراءة في التدريبات المصاحبة له بما يلي (بمعرفتي للقراءة استطعت أن أؤدي عبادتي مثل الوضوء والصلاة أداءً صحيحاً، وأن أعرف كثيراً من الآداب). ويتعين على التلميذ الإجابة عن أسئلة التدريبات المصاحبة للدرس وحل الدروس الأخرى- بشواهد واستدلالات قرآنية.

يتحدث الدرس الثالث وعنوانه "المسجد المدرسة الأولى" عن دور المسجد الذي يتجاوز كونه مكاناً للعبادة. فهو يقول في الصفحة 12 (لم يكن المسجد مكاناً لأداء الصلوات فقط، ولكنه كان مدرسة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام . . . مكاناً للصلاة، وساحة للعبادة، ومدرسة للعلم). وتوجه التدريبات المصاحبة للدرس التلميذ لمعرفة عدد المساجد في بلده، وارتدادها. كما تحرص التدريبات على تأكيد أهمية الفصل بين الجنسين من خلال الإشارة إلى أن امام المسجد يخصص في تدريسه وتدريبه للناس أياماً للرجال وأياماً للنساء، ص 18.

تتجلى الدعوة لإحياء روح الجهاد والرغبة في الإستشهاد دفاعاً عن الدين والوطن في دروس عديدة. فالدرس التاسع، وعنوانه "الجندي" يصف الجندي بـ "المجاهد الصنديد" و"المقاتل العنيد" الذي يطرب لصوت الدبابة والمدفع ويفرح بالموت. ويؤكد الدرس السادس عشر هذا التوجه في الصفحة 88 فيقول (إن للوطن حقاً عليك أن تؤديه، فأنت ترى سماءه قد أظلمت، وماءه قد أروك، فأقل ما تكافئه به أن تكون فداه، وتبلي نداءه . . . وسلام على الذين استشهدوا في سبيله في قدير وشيكان وفي كرري وأم درمان وفي كل مكان وزمان). ويتم التأكيد على روح الجهاد في دروس أخرى منها مثل الدرس الخامس والعشرون بعنوان "الأمير عثمان دقنة" والذي يتم تعريفه في الصفحة 121 بكونه قاد (حركة الجهاد في السودان فتمكن من تحرير البلاد بعد أن حرر الخرطوم . . . وبنى المهدي دولته وأقام أحكام الشريعة الإسلامية فيها)، وفي الصفحة 127 بكونه (صورة مشرقة من صور الفداء والتضحية، جاهد في سبيل الله فما ضعف ولاقى العدو فثبت واستبسل . . . فسلام عليه في الخالدين). ومنها أيضاً الدرس السابع والثلاثون وعنوانه "نشيد العودة" - أي العودة إلى المسجد الأقصى - والدرسين الثاني والأربعون والثالث والأربعون حول مصعب بن عمير الذي كان باستشهاده (مثالاً للشباب المسلم، فقد كان متقهماً في الدين حافظاً لكتاب الله داعياً لدينه مضحياً بالمال والثراء في سبيل عقيدته) ص 207.

ويشير الدرس التاسع عشر وعنوانه "أنا الفتاة المسلمة" لضرورة الحجاب وأهميته فيقول على لسان الفتاة المسلمة (اعتز بالحجاب، وسابغ الثياب، فضائل الآداب). وتحدد التدريبات المصاحبة للدرس ملابس ومسلك الفتاة المسلمة في عبارات يكملها التلميذ/التلميذة بكلمة أحب أو لا أحب لنقرأ على النحو التالي: أحب أن يكون ثوبي طويلاً واسعاً، لا أحب أن يكون ثوبي قصيراً ضيقاً، لا أحب أن يرى الناس ما ألبسه من حلي، أحب أن أسير في طريقي دون تلقف، لا أحب أن أقف مع صديقتي في الطريق نتحدث، أحب أن ألبس حذاءً لا يحدث صوتاً، باعتبار أن صوت حذاء الأنثى أو أي صوت آخر يصدر منها هو فعل مشين.

تأتي كافة التدريبات التي يؤديها التلميذ/التلميذة على الخط متضمنة قيم وتعاليم إسلامية وتدعو للزود عنها. فهو/هي مطلوب منه أن يكتب خمس مرات عند نهاية كل درس عبارات من نحو: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) وهي الآية التي يتم الإستناد إليها في مشروعية الجهاد، "نشيد الموقع - دبابة ومدفع"، "كانت غزوة أحد درساً للمسلمين تعلموا منه أن طاعة القائد مهمة"، "قاد الإمام المهدي حركة الجهاد في السودان"، "الله أكبر فوق كيد المعتدي"، "إن تصصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، "ديننا بيني الرجال الأوفياء".

وللغرابية فإن كتاب "المنهل" يتضمن قصيدة معروفة عنوانها "صديقنا منقو" تتحدث عن ضرورة التآخي بين أبناء شمال السودان وجنوبه باعتبارهما شركاء في وطن واحد، في الوقت الذي يتم تكريس المنهج بكامله لصالح هوية واحدة وثقافة واحدة وعقيدة واحدة.

لا يتخذ كتاب الفنون التطبيقية للصف الرابع وعنوانه "مسكننا" اتجاهاً مختلفاً، فهو يأتي متنقلاً مع مقرر اللغة العربية "المنهل" ومقرري مادتي التربية الإسلامية "الفقه" و "القرآن الكريم" الخاصين بالصف. الكتاب الذي حل محل العلوم الإنسانية والطبيعية في المنهج السابق، يتضمن موضوعات حول الأسرة وما يتعلق بها من مأوى وأثاث وصحة. غير أن هذه الموضوعات يتم تناولها في سياق إسلامي، من خلال الحض على آداب وتعاليم إسلامية، والإستدلال والإستشهاد بنصوص من القرآن أو السنة، والحث على شكر الخالق الذي سخّر لنا كل ذلك.

الصف السادس:

يتضمن كتاب "الينبوع في اللغة العربية" المقرر على الصف 41 درساً جرى تكريس أكثر من نصفها لموضوعات دينية بحثية أو تتعلق بالتراث الإسلامي، ومن بين 11 نشيداً يتضمنه الكتاب فإن ستاً تدعو للحماسة والجهاد، فيما يحث أثنان منها على قيم وتعاليم إسلامية.

تأتي الأمثلة والتدريبات ضمن سياق ديني في الغالب، حتى وإن كان موضوع الدرس علمياً، ومن الأمثلة على ذلك: رددت أصوات الجماهير التكبير والتهليل ابتهاجاً بالإستقلال، ص 20 - حفظت عائشة سورة البقرة، ص 31 - لن تُهزم الأمة ما أحييت سنة الجهاد، ص 41 - عامر حفظ القرآن وأجاد تلاوته وتفهم معانيه وعمل بما فيه، ص 61 - "عينان لا تمسهما النار قط: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"، ص 67 - كانت غاية المجاهدين الشهادة أو النصر، ص 122.

ومن أمثلة الموضوعات التي تحض على الجهاد الدرس الرابع وعنوانه "الخنساء تحت أبناءها على الجهاد"، ويرد من ضمن أسئلة التدريبات المصاحبة للدرس أسئلة من نحو: ما واجب الأمهات نحو أبنائهن عندما يُدعون إلى الخدمة الوطنية الإلزامية؟ ص 16، وكيف تقابل المسلمات نبأ إصابة أبنائهن أو استشهادهن في سبيل الله؟ ص 91. ومن أمثلة الدعوة للجهاد أيضاً أبيات من الشعر ترد ضمن التدريبات تقول:

الله غايتنا وهل من غاية ... أسمى وأعلى من رضا الرحمن
وزعيم دعوتنا الرسول وما لنا غير الرسول محمد من ثان
دستورنا القرآن وهو منزل ... والعدل كل العدل في القرآن
وسبيل دعوتنا الجهاد وإنه ... إن ضاع ضاعت حرمة الأوطان

يتناول كتاب التربية الإسلامية "الفقه والتوحيد" المقرر على الصف موضوعات تتعلق بالعبادات وأخرى بالمعاملات، غير أن أكثر ما فيه إثارة للقلق إنه يحض الأفراد على مراقبة سلوك الآخرين وتولي مسؤولية تقويمه. وعلى سبيل المثال يحدّد الدرس 33 وعنوانه "الاستعفاف" الشروط الشرعية للملبس ويقول (اللبس الشرعي الذي اشترطته الشريعة الإسلامية هو اللبس الذي لا يصف الجسم ولا يشف ما تحته)، ثم يمضي للقول (وستر المرأة جسمها، والاحتشام في لبسها ليس أمر يرجع تنفيذه إلى المرأة وحدها، وإنما هو من مهمة المجتمع المسلم، وهو الذي يقوم بتنفيذه والمحافظة عليه، والمراقبة له، والأخذ على العابثين والعابثات، لأنه أمر صادر من الله سبحانه وتعالى، وهو واجب التنفيذ فالخطاب في الآية موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أيها النبي قل لأزواجك ... إلخ" (ومن بعده إلى المؤمنين) ص 112، 113.

كتاب الفنون التطبيقية بعنوان "سلامتنا" المقرر على الصف يتناول السلامة الشخصية من الأذى في البيت وخارجه، بجانب الممارسات التي تهدد السلامة من نحو التدخين والمخدرات وخلافه. ورغم أن الهدف من المادة هو تبصير التلاميذ بإجراءات السلامة التي يتعين عليهم معرفتها والالتزام بها دفعا للأذى إلا أن المؤلفين يفتخرون للكتاب بمقدمة تبدأ بآية من القرآن الكريم تقول (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون). وفي أحايين كثيرة يتم التذليل على قواعد السلامة بنصوص من القرآن أو السنة، حتى وإن كان الاستدلال بها إقحاماً لا معنى له. فعلى سبيل المثال، فعند التحذير من مخاطر الحرائق يورد الكتاب حديثاً للرسول يقول (إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فاطفئوها) ص 24، وعند التحذير من حوادث السيارات التي تنجم بسبب السرعة يستشهد الكتاب بقول الرسول (الأناة من الله والعجلة من الشيطان) ص 59، عند التحذير من تعاطي المخدرات يستشهد الكتاب بقوله تعالى (إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ص 99، وعند الحث على الرياضة يكون الاستشهاد بقول عمر بن الخطاب (علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل) ص 68.

ورغم الطبيعة العلمية للمادة، فإن كثيراً من الأسئلة والتدريبات المصاحبة للدروس تكون ذات طبيعة دينية، ومن هذا مثلاً: أذكر آية من الآيات الكريمة التي تحرم الخمر، ص 103 - أذكر الآية الكريمة التي تتحدث عن فضل كظم الغيظ، ص 111 - كيف يمكن المحافظة على النفس؟ ص 126 والإجابة المتوقعة من التلميذ عن هذا السؤال الأخير هي: بتعزيزها وتقويتها وتغذيتها بالسلوك والآداب الحسنة وتقوى الله وذكره.

كتاب الإنسان والكون بعنوان "الموارد" المقرر على الصف يهدف كما يقول في مقدمته - للتعريف بالإنسان (خلقه، غايات خلقه، مكانته بين المخلوقين، وتكريمه بالرسالة، وتسخير الكون له واستخلافه عليه) ص 6. ويشير الكتاب إلى غنى السودان بالموارد لينتهي إلى القول (إن تلك الموارد والثروات قد لفتت أنظار العالم الخارجي للسودان، وجعلت البعض يطمع في الحصول عليها) ص 291.

الصف السابع:

يدور جل كتاب "الفقه والعقيدة" المقرر على الصف حول طرق المحافظة على الدين بالدعوة والجهاد وقتل المرتدين، والتعريف بالشريعة الإسلامية ووجوب الحكم بها. ويشير الكتاب إلى طرق المحافظة على الدين في الصفحة 19 بما يلي: (الدعوة إلى الله، مشروعية الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال، مشروعية قتل المرتدين، محاربة الابتداع في الدين ومعاقبة المبتدعين والسحرة، وتحريم المعاصي ومعاقبة من يقترفونها بالحد أو التعزير). وهو يعرف الجهاد بما يلي: (الجهاد هو بذل الجهد والطاقة لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وتخليص الناس من العبودية لغير الله تعالى، والجهاد ثلاثة أنواع: - جهاد بالنفس وهو أعلاها، جهاد بالمال، وجهاد باللسان) ص 20. ويعرف الكتاب الردة بشكل واسع فيقول (الردة هي كفر المسلم، أو الرجوع من الإسلام إلى الكفر ويكون بصريح القول كقوله: "كفر أو أشرك"، أو إنكار ما جاء به الدين من أحكام، كوجوب الصلاة والزكاة، وحرمة الزنى والقتل، أو بفعل شيء يستلزم الكفر، كالقاء المصحف في القدر، أو الاستخفاف بآياته، كل ذلك يعتبر ارتداداً عن الدين يستحق صاحبه القتل) ص 21، 22. ويشرح الكتاب سبب قتل المرتد بالقول (كفر المسلم بعد إسلامه

أخطر على الإسلام من الكفر الأصلي ... لما فيه من إدخال للشكوك في قلوب البسطاء تجاه الدين، ويكون إرتداده ذريعة إلى إدخال الخلل في صفوف المسلمين وفي تفكك جبهتهم الداخلية وفي ذلك فساد كبير وشر مستطير) ص 22. ويقول الكتاب في تعريف الشريعة بأنها (اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله، أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بالناس ... وهي تتمثل في العبادات والمعاملات) ص 126. ويقدم الكتاب تعريفاً للمعاملات لا يغفل شيئاً فيقول (المعاملات هي التشريعات التي تنظم حياة المجتمع وتحفظ مصالحهم، وتدفع الضرر عنهم في جميع نواحي الحياة، بحيث تشمل كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس سواء أكانوا أفراداً أم جماعات أم أمماً) ص 130. ويضيف (إن الله أنزل هذه الشريعة لتحكم بين الناس جميعاً، وتوجه الحياة كلها) ص 149، و(تطبيق أحكام الله وشريعته لا يتم فردياً، وإنما تقيمها الدولة ويطبقها الحاكم) ص 150. ويحذر الكتاب من عدم إقامة الشريعة فيقول (ولا يجوز لمسلم أن يعرض عن حكم من أحكام هذه الشريعة ويحكم بغيره أبداً، ومن يفعل ذلك كان كافراً أو فاسقاً أو ظالماً) ص 149. ويقول الكتاب (إن تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة، هو الذي يجعل المسلمين ينظرون إلى مشاكلهم، ويضعون لها الحلول من خلال النصوص الشرعية أما إذا لم تكن الشريعة مطبقة وليس لها دور في الحياة، فإن البحث عن حلول للمشاكل التي تطرأ، تنتجها وجهة أخرى ويتم البحث عنها في مصادر أخرى، مما يزيد الجهل بحقائق الدين) ص 161. ويحذر الكتاب من الولاء لغير المسلمين باعتبار ذلك ولاءً محرماً ويعرف الولاء المحرم بكونه (تقريب الكفار وإكرامهم وإتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وكذلك التشبه بهم وتقليدهم في شؤون الحياة، وأخذ قوانينهم في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، لتحل محل الأنظمة الإسلامية التي شرعها الله سبحانه) ص 167.

تعتمد مادة كتاب "النبراس في اللغة العربية" المقرر على الصف بشكل أساسي على نصوص من القرآن والسنة والمأثورات الإسلامية سواء في شرح قواعد اللغة أو في التدريبات المصاحبة لها. ويتم توظيف النصوص والأمثلة المستخدمة فيه لغرس قيم واتجاهات دينية وبث روح الحماسة.

وتأتي موضوعات التعبير المطلوب من التلاميذ/التلميذات كتابتها لخدمة ذات الإتجاه ومنها مثلاً: (ضللت طريقك - إذ كنت عائداً من القرية المجاورة، ورحت تمشي على غير هدى، وأصابك تعب شديد. سألت الله أن يأخذ بيدك، ويُنْجيك من الشرور. فماذا قلت في دعائك؟) ص 138، أو (فتاة تحدثت في حفل خطاب للنساء دعتهن إلى تعلم أمور دينهن، وأهمية ذلك ... فماذا قالت؟) ص 169، أو (قم خطيباً في أهل قرتك بعد صلاة الجمعة لتحثهم على التبرع لبناء منزل لأسرة فقيرة حطمه النيل في أثناء فيضانه) ص 217.

ومن الأمثلة على الحماسة قصيدة (يا أخي الإنسان) التي تنتهي بقول الشاعر: (أنا مؤمن بعقيدتي ... أنا واثق بطلوع فجري) ص 40، أو قصيدة طارق بن زياد في طريقه للأندلس ص 67، أو قصيدة (هذا الفتى) التي تتحدث عن أطفال الحجارة ص 81، أو قصيدة المعتمد بن عباد التي تنتهي بقوله (ما سرت قط إلى القتال ... وكان من همي الرجوع) ص 96.

وتأتي التدريبات في دروس اللغة أقرب إليها تدريبات في العقيدة أكثر منها تدريبات في اللغة، ومنها على سبيل المثال: الليل والنهار نعمتان من نعم الله، فقيم نصرته نهارنا؟ وقيم نستغل ليلنا؟ ص 3 - وضّح معنى ما تحته خط: افترض الله الصوم على عباده ص 12، أدركت مع المصلين صلاة الفجر ص 17، أسلم المؤمن أمره إلى الله ص 99 - استخدم صيغة التعجب للتعبير عن: عظمة القرآن بوصفه دستوراً، كرم الإسلام بوصفه مبدأ ص 30.

يأتي الكتاب الآخر للغة "قواعد النحو" المقرر على الصف السابع على نفس النمط، إذ تتضمن الأمثلة والتدريبات الواردة فيه القيم والاتجاهات السابق الإشارة لها. كما جرى استخدام لغة تحض على الحماسة والجهاد والدفاع عن العقيدة. ومن بين الأمثلة: هذا هو الفدائي الذي دمر معسكر الأعداء، ص 9 - الموت في شأن الإله حياة، ص 49 - سيظل المسلمون أمة قوية ماداموا متمسكين بدينهم، كنتم خير أمة أخرجت للناس، ص 57 - لم نزل مستعدين للدفاع عن وطننا وعقيدتنا، ص 58 - يفوز المجاهد بإحدى الحسينيين، وفضل الله المجاهدين على الفاعدين اجراً، ص 63 - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون، ص 68 - تدرّب مجتبي على استخدام السلاح، ص 100. ويخصّص كتاب "قواعد النحو" درساً عن الخدمة العسكرية الإلزامية (الدرس الثاني عشر، ص 61) يتم استهلاله بخلفية دينية حول (إعداد الشباب المؤمن المتسلح بالعلم، المتدرّب على فنون الحرب والقتال، المؤهل للنهوض بواجبه في الدفاع عن دينه وأمنه المسلمة). ويقول الدرس (تهدف الخدمة الوطنية إلى غرس صفات الإقدام والثبات والاستعداد للإستشهاد في سبيل العقيدة والوطن، كما ترمي إلى إشاعة روح الإنضباط والالتزام، والتعاون، وتمكين روح العطاء والولاء والانتماء للجماعة والوطن والدين).

وفي غير ما مكان، يدعو المنهج للقبول بالأمر الواقع والاستسلام له باعتباره اختياراً إلهياً لا يتعين التذمّر منه، فهو يقول مثلاً: ارض بما قسم الله لك، ص 35 "كتاب النحو" - أو القبول بالفقر بالقول: ليس الفقر من الدرهم والدينار وإنما الفقر من الدين، ص 8 "كتاب النبراس في اللغة العربية". كما يصوّر العزلة المفروضة على البلاد

بسبب سوء ممارسات حكومتها باعتبارها كرامة فيقول (نصون كرامتنا باعتمادنا على أنفسنا) ص 13، أو (كرامتنا في اعتمادنا على أنفسنا، وتقدمنا في قيامنا بواجبنا مع مراقبة الله) ص 47، ويحث الناس للتنازل عن حقوقهم لصالح الحاكمين فيقول (حق الوطن فوق حقوق الأفراد والله مع العاملين) ص 47.

ويشتمل كتاب مادة الانسان والكون وعنوانه "نحن والعالم الإسلامي" المقرر على الصف السابع على ثمانية وحدات، أولها عن السودان القديم الذي (كان مركزاً من مراكز الحضارة العالمية)، والثانية عن شبه الجزيرة العربية (مهد الدعوة الإسلامية)، والثالثة عن (الدعوة الإسلامية وبناء الدولة). ويدور موضوع الوحدة الرابعة حول (دولة المدينة) والخامسة عن (انتشار الإسلام) والسادسة عن (الحضارة الإسلامية) والسابعة عن (الممالك الإسلامية في إفريقيا) والأخيرة عن (نماذج لدول إسلامية في السودان). ويتم تدريس مادة الإنسان والكون، التي حلت محل العلوم الإنسانية والطبيعية، دراسة نظرية وتطبيقية، فعلي سبيل المثال حين يدرس التلاميذ النشيد الذي أُنشِد به الرسول (ص) عند دخول المدينة المنورة فإن عليهم أداء النشيد بشكل جماعي بالتلحين القديم، ومحاولة إبتكار لحن جديد له (ص 28). كما يتم تدريس المادة لغرس قيم ومفاهيم محدّدة، فمن خلاله يتعلّم التلاميذ أن المسجد (مكان للصلاة والعبادة وملقى للمسلمين يتدارسون فيه أمور دينهم وديناهم) وأنه (مكان تدار منه كل شؤون الدولة) ص 29، وأن وثيقة المدينة المنورة التي أصدرها الرسول هي (دستور للأمة ... ينظم أوضاع الدولة المدنية والسياسية والاجتماعية) ص 30، وأن نظام التعبئة هو الذي يصون البلاد من الأعداء ويهييء للمسلمين (الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم) ص 38. كما يتعلّم التلاميذ أن (القرآن الكريم دستور للحكم والمعاملات) وأن الإسلام (ذو هدف إنساني ورسالة عالمية) ص 55. ويشير الكتاب إلى أن المساواة هي بين المسلمين فقط غيرهم، وإن كان للمسلم أن يفضل على المسلم الآخر بتقواه، ص 55.

الصف الثامن:

يتجه كتاب "الفقه"، وهي مادة مستقلة عن مادة "القرآن الكريم"، لتأكيد مقاصد الشريعة الإسلامية وتوضيح الأحكام الشرعية للتلاميذ. ويتعرف التلاميذ من خلاله أيضاً على المباح والمحرم من الملابس والأكل والمشرب والمسلك. فالدرس الثالث منه مثلاً، ص 10 وما بعدها، يحدّد الأحكام المتصلة باللباس فيقول إنه يجب على المسلم/المسلمة أن يستر عورته، ويعرف العورة ب (كل ما حرم الله إظهاره أمام من لا يحل له النظر إليه، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة جميع جسمها إلا الوجه والكفين). ويضيف (منعت الشريعة الإسلامية تشبه كل من الرجل والمرأة بالأخر في اللباس) وأن الشريعة الإسلامية منعت أيضاً (لبس الملابس الخاصة بالكفار، التي تميّزهم عن غيرهم ... أو السير على نهجهم، أو كان اللباس مختصاً بهم)، وأنها -أي الشريعة الإسلامية- أباحت (لبس الحرير والذهب للمرأة وحرمتها على الرجل).

ويتناول الكتاب العقوبات الإسلامية المفروضة على الجرائم ومنها قطع يد السارق والسارقة (ص 86)، جلد أو رجم الزاني والزانية (ص 70)، جلد شارب الخمر (ص 54)، القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي عقوبة للحراية، وهي تهمة تتوسع الحكومة في استخدامها في مواجهة خصومها. ويعرف الكتاب الحراية بكونها محاربة الله ورسوله (بالإعتداء على أمن الدولة الإسلامية، وزعزعة السلام فيها، وإشاعة الخوف والرعب بين الناس) ص 89. ويقول إنه (ليس للحاكم أن يعفو في حد من هذه الحدود) ص 90 باعتبارها حدود الله.

ويحدّد كتاب الفقه للصف الثامن، ص 71، تسعة شروط يتعيّن توفرها في الشهود -على الزنا وغيره- منها الإسلام، سواء كانت الشهادة على مسلم أو غير مسلم، ما يعني أن شهادة غير المسلم لا يؤخذ بها، وإن كان طرفاً أو ضحية في الدعوى. كما يحدّد الذكورة شرطاً في بعضها فيقول (ويشترط في شهود الزنا أن يكونوا جميعاً من الرجال، ولا تقبل شهادة النساء).

وفي ما يتعلّق بالزكاة، وهي (حق ثابت مقرر فريضة من الله، وهذا الحق ليس حقاً مكفولاً للأفراد ... وإنما هو تنظيم إجتماعي تشرف عليه الدول) ص 108، يقول الكتاب بلزوم أن يكون المنتفعون بها من المسلمين، ويستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم الذين يعرقهم بكونهم (كفار يرجى إسلامهم، أو مسلمون ضعفاء في دينهم) ص 108. ويقول الكتاب إن صرف الزكاة (ليس مقصوراً على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل من المسلمين بالطبع، من الباحث- فمن الجهات التي تصرف فيها الزكاة مصالح عامة للمسلمين، لا يقدرها الأفراد وإنما يقدرها أولو الأمر، وأهل الشورى في الجماعة المسلمة، كأعطاء المؤلفة قلوبهم وإعداد العدة للجهاد في سبيل الله وتجهيز الدعاة لتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة) ص 110. وفي الجهاد يقول الكتاب إنه (باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه والجهاد سنام الإسلام وبه عزة الدين وعزة المسلمين، وقد رفع السودان لواء الجهاد وتدافع إليه شباب الإسلام وبه الفلاح في الدنيا والآخرة) ص 90.

يتناول كتاب الإنسان والكون "نحن والعالم المعاصر" المقرر على الصف الثامن ثلاثة أبواب أولها خاص بالعالم الإسلامي وأوروبا، والثاني بالإستعمار الأوروبي، والثالث بميلاد السودان الحديث بدءاً من سلطانات القرن

السادس عشر وإنهاءً بالوقت الراهن والمستقبل الذي سيصبح فيه السودان (دولة عظمى). وفي تناوله للإستعمار، يقول (من أخطر أشكال الاستعمار ما يعرف بالاستعمار الثقافي أو الفكري) ص 26، لأنه (يقوم على التبعية الفكرية والثقافية وفرض هيمنة الحضارة الغربية وطمس هوية الأمم الضعيفة لضمان تبعيتها وهذا ما يعرف حديثاً بالعمولة) ص 34، ويصف الكتاب الولايات المتحدة بكونها (رائدة التسلط والاستعمار المعاصر) ص 34.

ويجعل الكتاب لفترة حكم المهدي مكانة سامية رغم كون ذلك مثار خلاف- فيقول (تمثل فترة حكم المهدي وخليفته من بعده فترة ذات مثل عليا في حياة أهل السودان - مثل دينية وجهادية عملت على تقوية النفوس ووجهتها نحو فضيلة الجهاد) ص 67، وينتهي الكتاب إلى أن (السودان مؤهل لاحتلال موقعه بين الدول العظمى) وإلى أن (شعوب الأمة الإسلامية والأفريقية تسعى لإسترداد موقعها الحضاري المتميز الذي شغلته في العصور الإسلامية المزدهرة. وسيكون السودان بإذن الله رأس الرمح في القيادة) ص 110.

على الرغم من أن كتاب الفنون التطبيقية (الغذاء والصحة) المقرر على الصف يتناول مادة علمية تتعلق بأهمية الغذاء ومكوناته ومجموعاته، إلا أن تناول يتم بمرجعيات وإشارات وأدلة دينية، ووفق المفهوم القائل بأن كل ما في الكون من نعم تلزم الإنسان بالتأمل في خالقها وشكره وتثناؤه. وعلى سبيل المثال، فعند تناول عملية الزراعة والنبات فالكتاب يستدل بقوله تعالى (فليُنظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صباً، ثم شققنا الأرض شققاً) ص 4 داعياً للتلاميذ للتأمل في بديع قدرة الخالق. وعند تناول الغذاء فالكتاب يستدل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وأشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) ويعرّف الغذاء الصحي (أو الطيب من الغذاء) بأنه (كل غذاء مفيد للإنسان يعينه على نشاطاته الحياتية ويكون مكتمل الصحة لعبادة الله سبحانه وتعالى على الوجه المرجو) ص 67. وهو حين يتحدث مثلاً عن أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل أو فطامه أو غير ذلك فالإستناد لنص قرأني.

يشتمل كتاب "القبس في اللغة العربية" على 15 وحدة دراسة تضم كل منها موضوعاً للقراءة وآخر للأناشيد والمحفوظات، بجانب الإملاء والتعبير. وتعبّر عشرة موضوعات من بين موضوعات القراءة ال 15 عن نصوص دينية أو خاصة بالتراث الإسلامي. كما أن نحو نصف الأناشيد والمحفوظات الواردة في الكتاب هو في الحماسة والفخر والدعوة لإعلاء روح الجهاد. ويكرّس الكتاب الأمثلة والتدريبات اللغوية لما يعزّز قيم الجهاد والقتال. وتأتي الأمثلة المستخدمة من نحو: حمل المقاتلون سلاحهم بإيمانهم، ص 5 - أنا مسئل سفي لمقاومة كل عدوان، ص 33 - استشهد المجاهد وهو يدافع عن أرضه، ص 55 - ليس لأعدائنا مكان يفرون إليه من بأسنا، ص 61 - بشرى لمن بذل نفسه في سبيل عقيدته، ص 97 - سنجد كل من كان قادراً على حمل السلاح، ص 105. وحين يتحدث الكتاب عن الألوان المستخدمة في العلم السوداني يقول إن اللون الأسود في العلم يدل على "الحروب المهلكة لأعدائنا" وإن اللون الأحمر يدل على "السيوف التي تخضبت بدماء الأعداء" ص 45.

من بين الأناشيد والمحفوظات الواردة في الكتاب فإن نشيد "جروح فلسطين" ص 35، يدعو إلى نبذ التفاوض أسلوباً لتحرير الأرض ويقول بأن علينا أن نتذكر (أن السبيل إلى التحرير هو القوة وحدها، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) ص 36. وفي التدريبات المصاحبة للنشيد يطرح الكتاب السؤال التالي الذي يتعين على الطالب إنتقاء الإجابة عنه من بين أربعة إجابات مقدّمة:

لنسترد أمتنا أرضها السليبية وتمتلك حرية الإرادة، عليها:

- أن تجلس للتفاوض مع أعدائها

- أن تلجأ إلى مجلس الأمن

- أن تستخدم القوة

- أن تسترحم أعداءها

ويتعين على التلميذ اختيار الإجابة الثالثة التي تقول بوجوب استخدام القوة.

في الوحدة السابعة يعرض الكتاب جانباً من خطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة، ويشير إلى الخطبة باعتبارها تصوغ (دستور الخلافة في عبارات موجزة، وهو دستور مستمد من مبادئ الإسلام وهدية الذي رسم للإنسانية طريق سعادتها في الدارين) ص 92. وفي مكان آخر يشير للحاكم أو أمير المؤمنين باعتباره (ظل الله في الأرض) ص 182.

ويستخدم كتاب اللغة الآخر المقرر على الصف "قواعد النحو" ذات اللغة الدينية، كما يستخدم الأمثلة والأسئلة التدريبية التي تتضمن مفاهيم دينية وجهادية.

المرحلة الثانوية:

الصف الأول:

يتم تدريس مادة اللغة العربية، بفروعها المختلفة، من مطالعة ونحو وبلاغة وتعبير، لا باعتبارها مجرد لغة ووسيلة للتخاطب بل باعتبارها (من أجمل لغات العالم إن لم تكن أجملها قاطبة) مقدمة كتاب المطالعة والأدب، ولأنها لغة القرآن الكريم (بها نزل، وبها يُتلى) ص 21. وتقول مقدمة الكتاب (كلمة نسوقها للزملاء الكرام المعلمين والمعلمات أن نذكرهم - وهم غير غافلين - بأنهم حماة هذه اللغة، وحرّاسها الأمناء، وهم القابضون على لسان الأمة وضميرها).

ونتجّه موضوعات الكتاب لترسيخ القيم والمفاهيم الدينية والتقليدية، ومنها أن الفتاة مكانها البيت أولاً، وخدمته. وكما يقول المدرس (الفتيات الناجحات هن اللاتي يتربّين على حب العمل، ويتدربن منذ الصغر على أعمال المنزل، فيساعدن أمهاتهن فيها، أما حين تترقّع الفتاة عن الأعمال أنفة أو كسلاً، فإنها ستكون عندما تنتزوج -عبئاً ثقيلاً على زوجها.... فنضطرب الحياة الأسرية) ص 106. كما يتضمن الكتاب موضوعات في الحماسة والجهاد، منها الموضوع السادس والعشرين بعنوان (ذو الشهادتين) الذي يحث الأمّهات على تقديم أبنائهن فداءً للدين دون جزع.

تأتي موضوعات كتابي "البلاغة والتعبير" و "قواعد اللغة العربية" على ذات النهج. وعلى سبيل المثال ثمانية نصوص للقراءة من بين عشرة تضمن عليها كتاب البلاغة والتعبير هي نصوص دينية أو في الحماسة والفخر.

يتضمن كتاب الدراسات الإسلامية المقرّر على الصف على أكثر الآراء الدينية تشدداً وتزمتاً ورجعية. ففي أمر اختيار الزوجة مثلاً يحدّد الكتاب مواصفات دينية وجسدية بعينها أساساً للاختيار. وفي أركان الزواج ص 52- يقول بعدم شرعية زواج الفتاة دون موافقة الولي، باعتبار (الولاية شرطاً من شروط النكاح). ويشترط الكتاب في الولي شروطاً لا بد من توفرها منها الذكورة والإسلام. كما يشترط وجود شاهدين عدلين مسلمين بجانب الولي وإلا كان الزواج (بغياً) ص 53.

ويقول الكتاب إن من حق الزوج أن يضرب زوجته تأديباً لها (ص 59)، ويقول إن الشريعة فرضت على الزوجة أن تطيع زوجها، وأن (لا تخرج من منزل الزوج بدون ضرورة إلا بإذنه) وأن عليها (أن تعمل على إرضائه، وإدخال السرور على نفسه) ص 60. ويقول إن على الزوج متى رأى نشوزاً منها (أن يعظها، فإن لم ينفع الوعظ فليهجرها في المضجع، فإن لم ينفع الهجر فله أن يضربها ضرباً غير مبرح) ص 63. ويقول الكتاب بأنه يُحدّد طلاق الزوجة (إذا كانت لا تؤدي الفرائض الدينية وتصر على تركها، ولم تنجح معها الموعظة الحسنة والإرشاد الحكيم) ص 64. ويقول الكتاب إن (الطلاق من حق الرجل وحده) ص 69، وإن كان يمكن للمرأة أن تخلع عنها الزوج برضائه متى قبلت (أن تقتدي نفسها بماله تبدّله لزوجها) ص 67.

ومن "حقوق" الطفل على الأب أن يعلمه، (كما أن برنامج تعليم الطفل لا بد أن يحتوي على قدر من التدريب على الجهاد في سبيل الله ليكون مهياً في المستقبل للزود عن عقيدته ووطنه وحرّماته) ص 78.

ويوجب الكتاب على الأفراد القيام بمهمة مراقبة سلوك الآخرين وتولي مهمة تقيمه، ويقول (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أوجب على الأمة مجتمعة على وجه الواجب الكفائي أن يكون من بينها من يتولى الإرشاد العام، ليمتنع الأشرار عن شرورهم، ويسير الخير في مجراه. فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة، وإن الإرشاد العام فرض كفائي إذا فعله بعض الأخيار يسقط عن الجماعة. ولكن هناك فرض عيني على كل فرد رأى شراً أن يمنعه) ص 113، 114.

ويقول كتاب "القرآن الكريم وعلومه" المقرّر على الصف بأن موالة غير المسلمين ينقض الإيمان وأنه (كفر، ولو كان السبب في التولي هو الخوف على المصالح أو الطمع فيما عندهم) ص 71، ويقول إن (الطمع فيما عند الكافرين يقابله الإستغناء بالله تعالى، وأن الخوف منهم والوهن أمامهم يقابله التوكّل على الله والقوة به).

يضم كتاب التاريخ المقرّر على الصف ثلاثة أبواب، يتحدث أولها عن الجزيرة العربية قبل الإسلام، ويتناول الباب الثاني مسيرة الدولة الإسلامية وإطلاق راياتها الجهادية، فيما يتناول الباب الثالث تاريخ إفريقيا وحضارتها وفيه تمّ تناول تاريخ السودان القديم وانتشار الإسلام في إفريقيا عامة والسودان بشكل خاص قبل أن يختم بنماذج للحركات والثورات الإسلامية.

الصف الثاني:

يتضمن كتاب "الدراسات الإسلامية" المقرر على الصف على ستة أبواب تتناول دراسة في السيرة توضح مكانة الصحابة ودورهم في نشر الإسلام، ودراسة تاريخية لتطور الفقه الإسلامي والمذاهب الفقهية تهدف كما أشارت مقدمة الكتاب- لإظهار (عظمة الفقه الإسلامي كفته مميز على سائر الأحكام السائدة بين بني البشر). كما يتضمن أيضاً دروساً في فقه المعاملات الإسلامية، ويفرد باباً خاصاً لفقه الجهاد. يسلط الباب الأول الضوء على سيرة (الفدائيين من الصحابة) و(مواقفهم الجهادية)، فيما ينتج الباب الثاني للتأكيد على وجوب تطبيق وإنفاذ الشريعة الإسلامية. ويؤكد الكتاب وجوب تطبيقها على الكافة، حتى وإن كانوا من غير المسلمين مستنداً في ذلك بأنه في عهد الدولة الإسلامية الأولى في عهد الرسول ص (وجدت مجموعات من أهل العهد والذمة تحاكموا إلى الأحكام الشرعية، فإن الإسلام جاء لإصلاح حال الناس جميعاً سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين ممن يقيمون في الدولة الإسلامية) ص 84. ويقول الكتاب إن حق المواطنة الذي يجمع بين المسلمين وغيرهم في وطن واحد لا يعطي غير المسلمين حقوق متساوية (ولغير المسلمين في الدولة بحكم المواطنة المشاركة في الأمور كلها التي لا تخص المسلمين فقط كالولاية العامة لأنها تفرض على المسلمين أن يلتزموا بأحكام الشرع في المسؤولية العامة) ص 84. وفي فصل دعاوى والبيّنات، يحدّد الكتاب شروطاً للشهادة تقصي غير المسلمين إذ أن من شروط الشهادة (الإسلام: فلا تجوز شهادة الكافر على المسلم) ص 91. كما تستنتج الشروط شهادة الإناث - وإن كن مسلمات- حسب ما يتضح من الصياغة التي تشير إلى الذكورة. ويميز الكتاب أنواع مختلفة من الشهادات (والشهادة إما أن تكون شهادة زنا أو شهادة غير الزنا أو شهادة أموال أو شهادة أحكام أو هو متعلق بأمر خاص بالنساء) ص 91. ويحدّد الكتاب ما يباح للمرأة الشهادة فيه (شهادة الأموال ويكتفى فيها بشهادة رجلين أو رجل وإمرأتين) أو الشهادة حول أمور خاصة بالنساء (مثل الحمل والحيض وكل ما لا يطلع عليه غير النساء فيكتفى فيها بشهادة إمرأتين فقط) ص 92.

ويعرّف الكتاب في بابه الرابع بجرائم الحدود في الإسلام، ومنها حد القتل، وحد قطع يد السارق والسارقة، وحد الرجم أو الجلد للزاني، وحد الجلد لشرب الخمر (80 جلد) أو القذف (80 جلد) وغير ذلك من حدود.

وفي فقه الجهاد يقول الكتاب إن (التطوع للجهاد من أفضل العبادات، وهو أفضل من التطوع في العبادات الأخرى، لأن فيه إعلاء لكلمة الله وتمكين لهديته في الأرض) ص 144. ويقول بأنه (فرض كفاية .. إذا قام به بعض المسلمين سقط عن باقيهم) ص 141، لكن من يسقط عنهم يتعين عليهم القيام ب (مهمة حماية ظهر المقاتلين وتوفير الضروريات) ص 142. لكن الكتاب يجعل من الجهاد فرض عين واجب على الكافة في ثلاثة أحوال منها: (إذا استتفر الحاكم المكلفين للخروج لقتال العدو) ص 142. ويقول الكتاب (لا يشترط في الجهاد أن يكون الحاكم عادلاً، إذا كان الأمر يتعلق بحماية الدين وأعراض المسلمين ومصالحهم، بل الجهاد واجب في كل هذه الأحوال) ص 148. كما يحث الدرس على (الرباط) باعتباره أفضل أنواع الجهاد، فيقول (الرباط هو حماية ثغور المسلمين. والثغور تشمل حدود دولة الإسلام التي يمكن أن يدخل منها العدو. وهناك منشآت هامة في دولة الإسلام تعتبر من الثغور الهامة، مثل مناطق البترول والخزانات والمصانع وغيرها. وكل هذه الأماكن من الممكن أن تكون هدفاً للعدو ولعملائه داخل دولة الإسلام. ولذلك يعتبر التطوع لحماية الثغور من أفضل أنواع الجهاد) ص 144، 145.

يضم كتاب "التاريخ" المقرر على الصف أربعة أبواب، الأول منها حول الحكم التركي المصري للسودان، والثاني حول دولة المهديّة، والثالث حول تاريخ أوروبا الحديث، والرابع حول الصراع الأوروبي من أجل التوسع الجغرافي والتجاري. وتحدّد مقدمة الكتاب الأهداف من وراء تدريس هذه المادة، ويبتدئها ب (ترسيخ العقيدة الدينية وتعميق روح الوحدة الوطنية، وتنمية الشعور بالولاء للوطن والتضحية والجهاد في سبيله).

تأتي كتب مادة اللغة العربية المقررة على الصف على النسق الذي تمت الإشارة إليه، أي ترسيخ قيم ومفاهيم دينية بعينها. وعلى سبيل المثال، تزرع كتب المادة بالدروس والأمثلة والأنشيد التي تثير الحماسة وتحض على الجهاد والقتال دفاعاً عن الوطن والعقيدة. ومن بين الأمثلة على ذلك: (ونحن أناس لا توسّط عندنا .. لنا الصدر دون العالمين أو القبر) ص 15، (لا والله لن نخضع لغير الله) ص 25، (ألا كلّ شعب ضائع حقه سدى .. إذا لم يُؤيد حقه المدفع الضخم) ص 27، (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) ص 59. وتأتي موضوعات التعبير التي يطلب من التلاميذ والتلميذات كتابتها على ذات النهج، ومن ذلك مثلاً: (أكتب موضوعاً عنوانه: الإسلام دين سماحة في الحرب والسلام) ص 47، أو أكتب موضوعاً عن (السودان البوابة التي نفذت منها الحضارة الإسلامية إلى إفريقيا) ص 77.

ومن ما يثير الدهشة تضمين كتاب "البلاغة والتعبير" نصوصاً عديدة لحكام وولاة استموا بالعنف والجبروت، ومن الذين عرفوا بقمعهم وإخضاعهم للناس كرها. ومن ذلك ما جاء في خطبة زياد (وإني أقسم بالله لأخذنّ الوليّ بالمولى والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدير، والصحيح بالسقيم، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك

سعيد أو تستقم لي قناتكم) ص 20، أو ما جاء في خطبة الحجاج مهذداً أهل العراق (أيها الناس، من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقيه. إن للشيطان طيفاً، وللسلطان سيفاً) ص 27.

الصف الثالث:

يتناول كتاب "التربية الإسلامية المقرر على الصف أحكام تتعلق بأمر التشريع والتوجيه والأخلاق، بجانب موضوعات في أحكام الميراث والفقهاء الإسلامي وخصائص الأمة الإسلامية، والهدف كما تحدده مقدمة الكتاب هو (غرس روح الإعزاز بالدين والانتماء لأمته في نفوس الطلاب والطالبات).

من بين الأحكام التي يتناولها الكتاب تلك المتعلقة بالزنا، ويقول إن عقوبة جلد غير المحصن مائة جلدة ورجم المحصن ينبغي تنفيذه (بدون تعطيل أو رحمة أو رافة على الجاني) ص 15. ويضيف الكتاب بأنه (لا يليق بالمؤمن أن يتزوج من الزانية ... لأن الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) ص 15.

ويتناول الكتاب موضوع "الحجاب" وضرورة التزام النساء به وإخفاء مواضع الزينة (مثل الشعر والعنق والصدر، حتى لا يرى منها شيء) والنساء منهيات أيضاً (عن ضرب أرجلهن بالأرض حتى لا يسمع صوت ما يلبسن من الحلي، كالخلخال وما شابهه مما تلبسه النساء ومثله ما يلبس في العنق أو يشم من بعيد مما يثير الحواس ويهيج الأعصاب) ص 35.

وفي توضيحه ل "أدب الجماعة المؤمنة مع قائدها" ينهى الكتاب عن الخروج على الحاكم في ما يتم التوافق عليه (فمتى اجتمع المسلمون لغاية اجتماعية في السلم أو الحرب- فإنهم لا يحل لهم أن يرجعوا عنه، أو أن ينتشروا بدون إذن أميرهم) ص 60. وينهى الكتاب المسلمين من مصادقة غير المسلمين أو الاستئصال بهم، فالمؤمنين منهن من (أن يتخذ أحد منهم أحداً من اليهود والنصارى، ولياً ونصيراً) ص 81، ويشرح ذلك بالقول (أي لا تصافوهم مصافاة الأحاب، ولا تستنصروا بهم، فإنهم جميعاً يداً واحدة عليكم، يبغونكم الغوائل، ويتربصون بكم الدوائر، فكيف يتوهم بينكم وبينهم موالة؟).

ويحض الكتاب المسلمين للتكاثر وذلك بغية (تمكينهم من نشر دينهم) ص 98، بل إنه يجعل التكاثر في النسل أحد الأهداف السامية من زواجهم. ويضيف (القول بأن كثرة النسل يضر بصحة الأم غير صحيح ... وتحديد النسل لا يجوز لما فيه من مخالفة التوجيهات الإسلامية) ص 99.

ويقول كتاب التربية الإسلامية أن المسلمين منهيون عن الخروج على الحاكم (ولا يحق لأي من المسلمين أن يخرج عن طاعة الإمام لأنه ينفذ أمر الله وحكمه) ص 109. كما أنه يحذر من البيغي -أي الخروج عن طاعة الإمام- ويقول (البغاة هم الجماعة ذات القوة التي تخرج عن طاعة الإمام بتأويل، فيعتبرونه ظالماً ويرفضون طاعته ويخرجون عليه، وعند ذلك يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى العدل وينتظموا في سلك الجماعة) ص 110. والقوة المشار إليها في النص السابق ليست محددة، وهي تشمل من ثم أي نوع من القوة سواء أكانت قوة سياسية أو اقتصادية أو غيرها.

يتمحور كتاب "الدراسات الإسلامية" المقرر على الصف كما نقول مقدمته (حول الجهاد في سبيل الله) وهو يبين (أن التمسك بشريعة الله، ونصرة دينه هو السبيل إلى الانتصار والعزة والرفعة والسمو). كما يتناول الكتاب موضوعات أخرى من نحو دراسة أصول الفقه الإسلامي، وعلوم القرآن، والاقتصاد الإسلامي. والكتاب يبدأ بسورة "محمد" والتي تسمى أيضاً كما يقول الكتاب ب "سورة القتال" ص 6.

وفي تعريفه للاقتصاد الإسلامي يقول إنه يقوم على أسس من بينها أن (المال مال الله، ولا بد أن يوجه إلى ما يرضي الله) ص 57. ويقول إن الحرية الفردية مقيدة بمصلحة الجماعة (والفقهاء متفقون في الجملة على جواز نزع الملكية للمنفعة العامة كتوسعة مسجد أو شق طريق) ص 57. ويقول (حق الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادي بما فيه حق الملكية- هو أمر مشروع وثابت) ص 58.

وفي استعراضه للموارد المالية للدولة يورد الكتاب "الجزية" باعتبارها أحد الموارد، وهو يعرفها "بأنها ما لزم الكافر من مال لأمنه واستقراره تحت حكم الإسلام وصونه) وهي بمفردات أخرى (ضريبة شخصية تفرض على الشخص الذي لإقامته في الدولة الإسلامية) ص 73، والمستهدفون بالجزية ليسوا بالطبع أجانب يقيمون في الدولة الإسلامية بل مواطنين لا يدينون بالإسلام.

تتضمن كتب اللغة العربية المقررة على الصف على ذات القيم والمفاهيم التي تضمنتها كتب الصفوف الأخرى، وهي تتجه كسابقاتها للتعينة والحث على الجهاد والدفاع عن الوطن والعقيدة. ويتم توظيف معظم النصوص المقررة والتدريبات الملحقة لخدمة هذا الإتجاه. وفي غير ما مكان يستحث المنهج الطلاب للعصبية والزود عن اللغة العربية باعتبارها (الهدف الأول للمستعمرين) ويحذر من الاستجابة لإغواء اللغات الأخرى لأن (الذين

يتعلقون باللغات الأجنبية - إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية- تراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم، ويبتزؤون من سلفهم وينسلخون من تاريخهم، وتقوم بأنفسهم الكراهية للغتهم وآداب لغتهم، ولقومهم وأشياء قومهم، فلا يستطيعون وطنهم أن يوحي إليهم أسرار روحه، إذ ينقادون بالحب لغيره) ص 85 و 86 من كتاب "المطالعة والأدب". وفي استعراضه لأنواع الخطب والرسائل يحرص المقرر على تدريب الطلاب على النموذج الديني منها أي ما يتم استهلاله (بالحمد والاستقامة والاستغفار وطلب الهداية والاستعاذة من الضلال، ثم الشهادة بأن الله واحد لا إله غيره) ص 136، ويستشهد بالعديد من الأمثلة التي تقيد بعالمية الإسلام وحضارته ووجوب بلوغها الكافة (إنها حضارة عالمية الأفق والرسالة) ص 143، وأن من لا يستجيب لها فلن يكون له نصيب من الأمن والسلام. وعبرة (أسلم تسلم) التي يكثر ورودها في الرسائل القديمة التي أعتاد الحكام توجيهها للدول غير المسلمة، يشرحها الكتاب فيقول بأنها تتضمن (الدعوة الهادئة والتهديد الواضح، فتسلم أي تسلم مما يترتب على عدم الإسلام) ص 119.

والكتاب يحدّد مقاييس أخلاقية للأدب والفنون، ومنه الشعر مثلاً، فيرفض (الغزل الفاحش الذي لا يتعقّف عن وصف محاسن المرأة ومفاتها الجسدية) ويدعو للعفيف منه ص 172.

وتتجه جل النصوص والتدريبات لمضامين جهادية، منها مثلاً في كتاب "البلاغة والتعبير": الموت في شأن الإله حياة، ص 1 - الشهداء أحياء لا أموات، ص 26 - السيف أصدق أنباء من الكتب، ص 33 - إلى متى تتخلف عن الجهاد والعدو بالمرصاد، ص 38 . وتتجه موضوعات التعبير التي يتعيّن على الطلاب كتابتها وجهة دينية أو تعبوية، ومنها مثلاً: (أكتب بأسلوبك قصة موسى مع العبد الصالح) ص 43، أو (لو طلب منك أن تكتب تقريراً عن فرقتك العسكرية التي تنتمي إليها فأى أسلوب تستخدم" الأسلوب الأدبي أم العلمي، وما الأشياء التي تضمنها تقريرك) ص 68.

ويأتي كتاب "قواعد اللغة العربية" المقرر على الصف في ذات النسق، فالأمثلة المستخدمة فيه تحت بدورها على القتال والجهاد من نحو: النصر تحت ظلال السيوف، ص 1 - لن نُهزم إن قاتلنا لنصرة دين الله، ص 23 - أبي الإسلام لا أب لي سواه، ص 44 - سقط الشهيد حاملاً رأيته، ص 70 .

ومن المواد المستحدثة في المرحلة الثانوية مادة "العلوم العسكرية". ويكمل الكتاب المقرر على الصف الثالث حلقات سبق بدأها في الصفين الأول والثاني. ويحوي كتاب العلوم العسكرية المقرر للصف الثالث كما تقول مقدمته- على (موضوعات ذات أهمية خاصة، تزود الطالب بثقافة عسكرية تعينه على فهم ما يجري على الساحة الدولية من صراعات بين الدول في سبيل تحقيق مكاسب اقتصادية، وسياسية، وعسكرية تضمن لها مكاناً مرموقاً بين رصيفاتها من دول العالم). وقد قام بوضع كتاب الصف الثالث إثنان من العسكريين هما: فريق محمد بشير سليمان، نائب رئيس هيئة الأركان توجيه، وعميد مجذوب رحمة البدوي، موجه بكلية الحرب العليا.

يعلم الكتاب الطلاب فنون الحرب، والاستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية بما فيها العقيدة العسكرية الإسلامية، ويتجاوز ذلك لتناول موضوعات من نحو حرب النجوم وأسلحة الدمار الشامل. ويهتم الكتاب بتحبيب العسكرية لنفوس الطلاب، ويقول بأن ذلك يتحقق من خلال (تطوير مفاهيم الأسرة والمجتمع .. وزرع القيم الوطنية في الأسرة والمجتمع ... حتى تتفاعل مع قضايا الوطن وتدفع بأبنائها للإلتحاق بالمؤسسات العسكرية ... ومن خلال تضمين المناهج الدراسية قدراً من موضوعات التدريب العسكري) ص 67، 68.

ويتناول الكتاب سبل تربية الجندي المسلم، ويقول إن التربية الروحية عظيمة الأهمية إذ أن (الاهتمام بها هو الذي يدفع بالمجاهد إلى ساحة القتال تاركاً أسرته ومناخ الدنيا حياً في لقاء الله وليعيش حياً في جنة عرضها السماوات والأرض) ص 70. ويقول أيضاً بأهمية الإعداد الفكري للجندي المسلم والذي يركز (على ضرورة فهم الجندي لواقع الأمة المسلمة وحاضرها، ويدرك المهدّدات الفكرية والاستعمارية التي تحيط بها وتهدد وجودها وكيانها ليكون أكثر استعداداً للتصدي لها ... مهما تكالب الأعداء من قوى النظام العالمي الجديد والصهيونية العالمية) ص 71.

ويفرد الكتاب فصلاً خاصاً عن إعداد الدولة والشعب للحرب، وفصلاً خاصاً بنماذج من القادة العسكريين وآخر بنماذج من المعارك التاريخية تشمل "غزو بدر الكبرى" و"معركة شيكان" ثم "معركة العلمين.

حول ديمقراطية التعليم

سعاد إبراهيم أحمد*

الشكر موصول للجبهة الديمقراطية بالجامعة الأهلية لدعوة الشيوخيين الرطانة من أمثالي لمخاطبتكم في زمن هو (كما كتبت لرئيس تحرير جريدة الرأي الآخر الأسبوع الماضي) هو زمان الأمية المتوحشة مجسدة وملموسة ومعاشة. هو زمان المدفوعين بأمراض التخلف المزمنة بحثاً عن ظل لهم بين أولاد وبنات الناس لسوقهم بكل الوسائل نحو ذلك الظلام المكفهر أبداً. هو زمان الاستعلاء العرقي والقومي واللغوي المغلف بالدين، والتمزيق المتصل للوحدة الوطنية المقتن بعضا السلطة وإرهابها. هي دعوة لم أستغربها من الطلاب المتعطشين دوماً للمعرفة النافعة، الطلاب الذين إلتزموا جانب الشعب عبر تاريخهم النضالي الطويل. ذلك الشعب الذي خرجوا من صلبه والذي علمهم من عائد كده وشفائه، الشعب الذي يأمل دوماً أن يناضل أبناؤه الطلاب من أجل مستقبل سرقته الجبهة الإسلامية ليلاً من وراء ظهره لتذيقه مرارة الإذلال والإفقار والتمزق المقصود عن وعي. ذلك الالتزام هو الذي أدى إلى هذا السلوك المقتنع بأن الحوار والنقاش للأفكار المتباينة والعلم المنفتح لكل الاتجاهات هو سبيل التقدم العلمي والاجتماعي والتطور الاقتصادي الشامل والعاقل. ونحن الشيوعيون نبدأ دائماً ونكرر دون كلل أو ملل بالتساؤل حول من يتعلمون، وماذا يتعلمون، وكيف يتعلمون، لأننا نصبو لتحقيق ديمقراطية التعليم كخطوة أولى في طريق تمكين كل الشعب من إمتلاك ناصية العلم والمعرفة وكل أدوات الاستزادة منها لكي يساعد كل ذلك على إرتقاء الوعي لديه، وتفجير طاقاته، وزرع الثقة في دواخله بأنه قادر على الإبداع وتحسين حياته بالتححرر من الاستغلال والإضطهاد والقهر الناجم عن الهيمنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المفروضة عليه. لكم مني التحيات المفعمة بالأمل والتقدير، ولندخل الآن في مسألة التعليم والثورة، موضوع الندوة.

لماذا التعليم؟

تميّز الإنسان خلال تطوّر البشرية عبر آلاف السنين بإبتداع اللغة كوسيلة اتصال مما جعل المعرفة والقيم السلوكية والمهارات مكتسبة بالتنشئة الاجتماعية مثلما هي قابلة للتراكم عبر الأجيال المتعاقبة، بالتالي لم يعد الإنسان مدفوعاً بالغرائز البحتة مثل بقية الحيوانات التي تشاركه العيش فوق الكرة الأرضية إذ يهتدي الإنسان في نشاطه وتصرفاته وعمله بما تعلمه من خلال تلك التنشئة الاجتماعية، وهذه تسمى بالإنجليزية socialization والمقصود بهذا المصطلح أو التعبير هو عملية انتقال المعرفة والمهارات والسلوك إلى الأجيال الجديدة وإعادة إنتاجها لتحقيق استمراريتها وبقائها في المجتمع مثلها مثل التكاثر العادي للإبقاء على النوع الذي يتم عن طريق إعادة الإنتاج الطبيعي وإنجاب الأطفال بالتزاوج (حتى الآن) بين الإناث والذكور. فالإنسان إذن كائن له تاريخ، وبفضل عملية التعليم القديمة قدم ذلك التاريخ، وعملية التعلم التي أدّى تراكمها لدى الإنسان خاصة بعد إبتداع رسم الحروف والكتابة بواسطتها إلى تتاقل كل المهارات والمعارف والقيم في كل المجتمعات البشرية عبر الأجيال. فالإنسان مارس التعليم عبر الوجود، وما التعليم النظامي الذي نعرفه إلا شكل من أشكال التنظيم وتقسيم العمل للقيام بمهمة اجتماعية هي تعليم الأجيال الجديدة وتأهيلها لدخول معترك الحياة. أضف إلى ذلك حقيقة أن التعليم وسيلة الأكثر فاعلية لتحقيق وتائر أعلى للتنمية الاقتصادية في المجتمع باعتبار أن الاستثمار في التنمية البشرية له آثار إيجابية تعود فوائدها إلى المجتمع ككل، مثلما هو سلاح فعال في يد الأفراد للعودة إلى أعلى السلم الاجتماعي والاقتصادي بما يتيحه التعليم للفرد بهذا الامتياز من قدرات متنوعة تفتح له مختلف مجالات العمل ذات العائد المجزي، وتتسع بسببه آفاق نشاطه وتنوع وتتعدّد في ظل بحور الأمية الهادرة في بلادنا. لهذا كانت الضغوط الاجتماعية لتوفير التعليم تتزايد كلما ارتفع وعي الشعب وزاد إدراكه لأهميته، ولم تعد مقولات أفلاطون عن تقسيم التعليم بين الحكّام والمحكومين أو الأحرار والعبيد مقبولة في عالم اليوم. لم يعد مقبولاً جعل التعليم مغلقاً بمعنى ألا يكون متاحاً حتى أعلى مستوياته لكل أفراد الشعب دون تمييز. لم يعد مقبولاً أن يتعلم الحكام والفئات المميّزة والمهيمنة على المجتمع العلوم الطبيعية والفلسفة واللغات والرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ، وأن يكتفوا في حالة الآخرين بتدريبتهم على الحرف لأنهم مجرد (فعلّة) لا حاجة لهم للعلوم النظرية رفيعة المستوى. والحركة الطلابية السودانية لها مواقف مشهودة في هذا الجانب (بالتحديد عام 1973) عندما رفضت المدارس الثانوية الفنية المغلقة في الحكم العسكري الثاني إبان ديكتاتورية جعفر نميري حتى اضطرت السلطة لإتاحة فرص المنافسة للتعليم العالي ولكن بعد أن زادت عدد سنوات الدراسة فيها إلى 4 سنوات. في المجتمع الطبقي إذن يكون المدرس والدارس والمحتوى التعليمي موافق عليه سواء بشكل مستتر أو ظاهر ولكنه متفق عليه بطريقة ما وعلى وجه ما، وهذا هو المنطق الذي يجعل التعليم أحد مجالات الصراع الاجتماعي الهامة، وهذا ما يقود إلى التساؤل: هل التعليم محايد؟

التعليم غير محايد

في البدء نؤكد أن التعليم غير محايد. هو غير محايد في الواقع المعاش لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالطبقات والفئات المهممة على مقاليد الأمور في المجتمع أو البلد المعين. فبالرغم من أن التعليم سلاح ذو حدين لأنه يمكن الفرد من أدوات استقاء المعرفة والاستزادة منها وبالتالي تمكّنه من الإضافة إليها بإبداعاته وقدراته، والتساؤل فيها متقبلاً أو ناقداً أو رافضاً لكل ما يقدم له، إلا أن الواقع هو أن التنشئة الاجتماعية تتم على أساس التواءم مع ما هو كائن لتحقيق القبول لمسلّماته، وفي ذلك ضمان للاستمرار والتحكم لتلك الطبقات والفئات المهممة وأوهام من وقر في نفوسهم أن $2 = 1 + 1$ دائماً ثم الاستنتاج من ذلك أن هذا هو التعليم، يتاح بحياد كامل في كل مكان وزمان وتحت كل الظروف! وهذا يدحضه واقع التعليم، لأن ديمقراطية التعليم تعني أن يتوفر في مستوياته الابتدائية والثانوية للجميع دون قيود أو عوائق، وأن يتاح حتى مستوياته العليا لكل من يريد أن ينهل من معينها الثر وفق قدراته في حدود امكانيات الاقتصاد الوطني. فالتعليم إذن لم يكن محايداً ولا متاحاً للجميع بالتساوي في يوم من الأيام سواء في عالمنا المعاصر أو عبر التاريخ البشري على امتداده.

من يتعلمون؟

هو سؤالنا الأول والشغل الشاغل لكل من يريد إحداث ثورة في التعليم لمصلحة الجميع وخصوصاً المسحوقين والمضطهدين والمهمشين في كافة أرجاء الوطن، المحرومين حتى من أول مراحل التعليم الأساسي. المستفيد الحقيقي من نظامنا التعليمي هم القلة المميّزة رغم كل ادعاءات الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال السياسي وتهرج سلطة الجبهة الإسلامية الحالية. واقع الحال يقول:

- إن قرابة 50% من الأطفال لا يدخلون المدارس الابتدائية لأنها غير موجودة في أماكن عيشهم.

- ازدادت نسب التساقط والإهدار من المرحلة الابتدائية بسبب التكاليف المتزايدة للتعليم بعد تخلي الدولة عن مجانية التعليم، وعدم توفير احتياجات الأطفال من الكتب والكراسات وغيرها إضافة إلى تجفيف الداخلات في المناطق الريفية مما زاد من أعباء الأسرة، فاضطر الكادحون والفقراء في المدن والأرياف لتترك الدراسة. هذه النسب بلغت 60% في بعض الأقاليم، وبلغ المتوسط حتى في العاصمة القومية أكثر من الثلث مما يبّد ما أنفق على التعليم بسبب عدم إكمال المرحلة، علماً بأن الإنفاق الجاري على التعليم انخفض خلال سنوات الإنقاذ من متوسط 20% إلى 1.8% حالياً.

- إن فرص النجاح والمواصلة غير متساوية لا بالجنس ولا بالتوزيع الجغرافي لعدم توفر المعينات الدراسية من كتب وأدوات وغيرها، حتى عدد المعلمين ومستوى خبرتهم وتأهيلهم متفاوت بدرجات مهولة لأن تمويل التعليم أصبح مسئولية محلية، ومواردها لا تكفي لمرتببات المعلمين ناهيك عن الاحتياجات الأخرى.

- ازدياد الفوارق الطبقيّة مكن الأغنياء والفئات المميّزة من توفير تعليم إضافي خارج إطار المدارس الحكومية إما بالتدريس الخصوصي والكورسات الصيفية وشراء الكتب والمجلات وغيرها من أدوات الثقافة والتعليم مما يميّزهم عن أطفال الفقراء في المدن والمناطق المهمّشة، أو بالانتقال إلى المدارس الخاصة ذات المصروفات الباهظة.

هذا في إيجاز هو واقع التعليم اليوم. إزدياد متصل في جيش الأمية لأن الأطفال غير المستوعبين في المدارس يغذونه عاماً بعد عام حتى أصبح عدد الأميين اليوم حوالي 18 مليون فرد أو أكثر من ثلاثة أضعاف الملايين الخمسة التي ورثناها عن الاستعمار. كيف ينطور وطن هذا حاله؟ كيف نعرف إن كان عباقرتنا ضمن المستوعبين في المدارس أم ضمن المشردين والهائمين خارج أسوارها؟ إن ديمقراطية التعليم التي نصبو إليها وناضل من أجلها تعني إتاحة فرص الاستيعاب المجاني في مدارس مكتملة التجهيزات والمعلمين لجميع الأطفال في عمر السابعة أينما كانوا في كل شبر من أرض الوطن دون تمييز بالجنس أو العرق أو الدين أو أي شيء آخر على الإطلاق. ديمقراطية التعليم التي نناضل من أجلها تتطلب ابتداع الوسائل لتوفير التعليم للرحل والقرى المتباعدة، وتمكين الفقراء من البقاء في التعليم بعدم تكليف أهلهم بالإنفاق على احتياجاتهم المدرسية، وبالتغذية التكميلية المجانية في المدارس. لماذا لم يحدث كل ذلك حتى الآن؟ لم يحدث لأن التعليم غير محايد، ولأن من بيده القلم يتيح الفرصة لطبقته وليس للجميع. وربما تندّش، ولو قليلاً، عندما تتمعّن الأرقام والنسب المؤنية للتوسع في التعليم عبر السنوات تستغرب كيف يعتبرون قرارات 4 ديسمبر 1989 ثورة في التعليم العالي في حين أن الأسبقية والزيادة النسبية كان يحظى بها التعليم العالي عبر جميع سنوات استقلالنا السياسي، كان على حساب توفيره للمحرومين من التعليم الابتدائي في مختلف أرجاء الوطن. والمحرومين لا ينتمون للمميزين بالتعليم والجاه أو الثروة بكل تأكيد لأن هؤلاء يحرصون على تعليم أطفالهم أينما كانوا. والزيادات النسبية الواضحة في الجدول أدناه تؤكد تمييز التعليم العالي ولماذا انعكس كل ذلك في التركيب الاجتماعي لطلاب كلية الطب بجامعة الخرطوم مثلاً حتى قبل أن يضاف إليها طلاب القبول الخاص. وهنا لا بد أن أحبي موقف الطلاب البطولي ضدها انتماءً حميمياً لإدراكهم أنها تتم على أشلاء المحرومين كما المفصولين والمشردين والملاحقين من أسرته طلاباً

وعاملين، وعلى أشلاء كل الأعراف والتقاليد التي كانت متبعة فيها عبر تاريخها. كل هذا نشير إليه مثلاً وليس حصراً.

الزيادة النسبية لأعداد الطلاب في التعليم الحكومي بالمراحل الدراسية: جدول رقم (1)

المصدر: الإحصاء التربوي، عدة سنوات

المرحلة	56/55	69/68	% الزيادة	1972	1987	% الزيادة	الزيادة منذ 1955
+ الابتدائي	161	547	340	884	1738	197	1080
التعليم العالي	880	8034 (1)	913	16328	60981(2)	373	6930
+ أرقام الابتدائي بالآلاف				(1) لا تشمل المعاهد العليا	(2) الرقم لعام 1990 قبل زيادة القبول		

ماذا وكيف يتعلمون؟

لا شك أن جيلكم أدرى بكيفية استخدام محتوى التعليم لتحقيق مآرب أبعد ما تكون عن خدمة الوطن ووحدة المواطنين السودانيين الذين يتميزون بالتنوع والتعدد اللغوي والديني والعرقي. لقد تميّزت كل الديكتاتوريات الثلاث بالمحاولات المتكررة لتغيير محتوى التعليم العام بمختلف مراحلها بهدف تربية أجيال موالية لفكرها وتوجهها، ولكن هذه الديكتاتورية التي نعيشها اليوم فاقتهم جميعاً في تسلطها واحتكارها لمجمل الوجود المدني بجميع أشكاله الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بسيف مسلط في وجه الشعب بكامله، وتناولت في محاولاتها لفرض رؤاها الأحادية المغلفة بالدين على المؤسسات التعليمية في البلاد مما هو معلوم لديكم بكل تأكيد، لأنكم عانيتم من بعض افرازاته في جامعتكم الفتية وكان صمودكم في وجه ذلك مثلاً للإقدام والثبات، وتعريبتكم لمخططات الجبهة الإسلامية الإرهابية أيضاً مثال آخر لما ينبغي أن تكون عليه المنظمات الطلابية الحريصة على استقلالها عن أي سلطة، وانتمائها في تجرد وإيثار لمصلحة الشعب كله. واتحاذكم المنفتح على مختلف التيارات الفكرية ودعوتي للتحدث إليكم مثال حي أمامكم نتمنى أن يُحتذى في كل الجامعات. فالنتظيمات الديمقراطية للطلاب كانت عبر تاريخها النضالي أبداً في صف الشعب وتحريره من ربة الاستعمار أولاً ثم من التسلط والديكتاتورية من بعد واستحقت بجدارة لقب ضمير الشعب، تقف مع طلائعه مناضلة من أجل حقوقه ورفاهيته. إن الديكتاتورية التي تفرض القرارات الفوقية لتحقيق أهدافها التحكومية وبالتالي هي تذبذخ المناخ الملائم للتعليم العالي الذي يفترض فيه أن يفتح آفاق المعرفة لا أن يكبل مؤسساتها بالقيود المتسلطة فيجعل مناخها خانقاً للفكر المتسائل والناقد، وقاتلاً للإبداع الحر السامق نحو النجوم في علاها بدلاً عن التردد الأجوف والحفظ الأعمى والقبول الخانع. إن الديكتاتورية هي أساس البلاء ليس للتعليم العالي وحده وإنما لمستقبل الوطن بكامله: تمزيقاً لوحده الوطنية، واضطهاداً لقومياته بثقافات المتنوعة وأديانه المتعددة، وتبديداً لموارده لصالح الموالين لها، وتخلياً عن توفير التعليم والرعاية الصحية للمواطنين، واحتكاراً للنشاط الاقتصادي والاجتماعي والنقابي وكل أشكال وتنظيمات المجتمع المدني الزاخر إمعاناً في الانفراد بحق اتخاذ القرار في ظل أوجه الحياة. فماذا كان الحصاد:

حصادنا كان الحرب المدمرة والتبشير الكاذب بأن قتل المواطنين السودانيين هو جهاد ديني من أجل العقيدة!!

حصادنا كان الإفكار المطرد للشعب بكل فئاته والإذلال المتزايد لسودان العزة والكرامة.

حصادنا كان العزلة الإقليمية والدولية ما شهد لها الوطن شبيهاً عبر تاريخه الطويل.

- غير مجدٍ الحديث عن اصلاح التعليم بكل مراحل ومستوياته بمعزل عن كل ذلك.

- غير مجدٍ حصر الأخطاء والمزالق في مثل هذه الظروف التي تحدق فيها المخاطر من كل جانب.

- لا سبيل للتفكير في علم ينفع الناس ويضع وطننا ضمن قائمة المتمتعين بحقوق الإنسان بدلاً عن قائمة الإرهاب إلا بتوحيد صفوفنا والخروج للشارع لمواجهة من تسببوا في كل ذلك.

من غيرها؟ هي سلطة الجبهة القومية الإسلامية المتسلطة على رقابنا جميعاً . .

لا مناص من إسقاطها لتحقيق السلام واستعادة الديمقراطية كاملة غير منقوصة أولاً.

بعد ذلك تكون نقطة البداية للثورة التعليمية الحقيقية التي نطمح بها جميعاً.

* كلمة قدمتها أمام ندوة أقيمت بالجامعة الأهلية بأدرمان في 4 يوليو 1996

مأزق التعليم العالي

عبد الوهاب عبد الرحيم، الوزير السابق للتعليم العالي

قدم البروفيسور عبد الرحيم هذا التقرير الى المجلس الوطني (التابع للجبهة القومية الاسلامية) في ديسمبر 1996. ولأن التقرير يندد بشدة وضع التعليم العالي ويتضمن إدانة واضحة لإخفاقات الجبهة الإسلامية القومية جري إعفاء الوزير وإعادة تعيين البروفيسور ابراهيم أحمد عمر الذي يعتبر العقل المدبر لسياسات الحكومة التعليمية.

يقرأ التقرير أن ما سمي بثورة الإنقاذ للتعليم العالي (أي: سياسات الجبهة القومية الاسلامية منذ 1990) هدفت الى توسيع مجال القبول في الجامعات وتوزيعها في المناطق المختلفة من السودان مع أسلمة المناهج وتعريب التدريس. وهدفت الثورة أيضاً الى تطوير البحث وخلق مزيد من مؤسسات التعليم العالي الخاصة، وإثراء البرامج التعليمية بالبيئة المحلية واحتياجات المجتمع.

بعد إنقضاء سبع سنوات (1989-1996)، تم تشكيل ثلاث لجان واحدة للنظر في وضع الجامعات الجديدة وأخرى لدراسة وضع الجامعات والكليات الخاصة وثالثة للنظر في البحث العلمي وطرق تطويره. ولاحظت اللجان أن التجربة قد وفرت عدة فرص لقبول الطلاب. لكن التوسع في الجامعات خلال فترة قصيرة من الزمن أفرزت عدة نتائج سلبية.

أدى الافتقار الى هيئات التدريس المؤهلة الى مراجعة الجامعات النظر في الحاجة لضمان المؤهلات الأكاديمية المطلوبة في الجامعات الجديدة. تم تعيين بعض الخريجين الجدد كرؤساء للأقسام أو حتى كعمداء للكليات لمواجهة النقص في هيئات التدريس. تم إجبار الجامعات على توظيف مدرسين دون أسس الأمر الذي أضدب من قدرة المدرسين على متابعة أداء الطلاب.

كان هناك ارتباك في برامج منح درجة البكالوريوس وأيضاً برامج الدبلوما حيث دمجت السياسة الجديدة الكليات في الجامعات. وكانت البنى الأساسية للمؤسسات الجديدة تواجه نقصاً خطيراً فيما يتعلق بقاعات التدريس، المعامل، الورش والمكتبات. شغل العديد من الجامعات الجديدة مباني لم يتم تصميمها في الأصل للوفاء بالاحتياجات الجامعية. فوق ذلك، عانت هذه المؤسسات من نقص حاد في معايير السلامة. عانت المكتبات من النقص في كتب التدريس، المراجع، الدوريات، الكوادر، الأجهزة الجديدة، أجهزة النسخ، الحاسبات الآلية الخ.

انتقد التقرير حقيقة أن جامعات الإنقاذ تم إنشاؤها بشكل رئيسي لأسباب سياسية ومصالح اقليمية وليس لأسباب أكاديمية. وأدى تباعد الجامعات جغرافياً- عن بعضها البعض الى سوء الاستفادة من الموارد البشرية والمالية المحدودة المتاحة، الى جانب صعوبة إدارة الكليات التي بعثرت على امتداد الاقاليم دون تسهيلات للنقل.

وسعت ثورة الإنقاذ التعليم العالي الخاص والمؤسسات الأجنبية. وخلال الفترة ما بين 1990 و1996 جرى تأسيس 14 مدرسة خاصة جديدة إضافة الى رفع كليتين للمستوى الجامعي. ونتيجة لذلك، ارتفع عدد الطلاب من 3686 طالب في العام 1990/1991 الى 23476 طالباً في العام 1994/1995.

أدت الزيادة في عدد المدارس الخاصة الى حرمان التعليم العام من الكوادر الفنية وذات الخبرة. ولم يراع التوسع الهدف المرسوم والخاص بتوفير موازنة بين نصيب العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية. ونتيجة لذلك، فإن حصة طلاب العلوم التطبيقية لم تتجاوز 16% من نسبة اجمالي الطلاب في المدارس الجديدة.

فضلاً عن ذلك، أصبحت مهنة التدريس مهنة غير جذابة ما أدى الى استمرار نزيف هجرة الكوادر. النقص في هيئات التدريس والناجم عن الاستقالات، التغيب أو رفض العودة للعمل عقب إنتهاء تعاقد الدراسة والذي بلغ 753 حالة في الجامعات الخمس القديمة للبلاد، أي 54% من هيئة التدريس.

فقدت جامعة السودان وحدها 53 من أعضاء هيئة تدريسيها، وفقدت جامعة الخرطوم 26، وجامعة الجزيرة 12، وجامعة النيلين 8، إضافة الى 252 من أعضاء هيئات التدريس الذين رفضوا العودة الى البلاد بسبب تدهور الأوضاع فيها. وعلى الرغم من راتب الاستاذ الجامعي (بروفيسور) يعد أعلى من الرواتب في المهن الأخرى إلا أن هذا الراتب الذي يبلغ 96,050 جنيهاً سودانياً يقل عن المرتب الذي يستحقه الاستاذ الجامعي والذي تم تقديره بـ 372,500 جنيهاً. ويقل راتب المحاضر عن الاستاذ إذ يبلغ 65,940 جنيهاً فقط.

وأخيراً، فقد انتقد البروفيسور عبد الرحيم سياسة الإنقاذ التي قضت بتخفيض موازنة التعليم. وبلغت الموازنة التي قررت في العام 1906 فقط مبلغ 40.8 مليار جنيه سوداني (نحو 24% من احتياجات الجامعات). ومع ذلك فإن الموازنة المحدودة التي تم تقريرها لم تذهب كاملة للإدارات الجامعية.

في أكتوبر 1996 واجهت الكليات والهيئات الادارية مشكلة حادة إذ لم يتجاوز ما تم دفعه مقابل الرواتب والخدمات نسبة الـ 36% الأسوأ من ذلك كان إلغاء الحكومة ميزانيات التنمية في الجامعات كافة باستثناء اثنتين منها. وتعمقت أزمة التعليم العالي أكثر مع فشل الجامعات في الحصول علي مساعدات عامة لمواجهة الذصور الذي يسببه ضعف الإنفاق الحكومي عليها.

انتهاك حقوق الإبداع والتعليم في الجنوب

اكول ميان كوال*

لم يعرف جنوب السودان التعليم الرسمي بالشكل المعروف. ولقد درجت المدارس التبشيرية على تدريس المواد للتلاميذ بلغاتهم المحلية في الصفين الأول والثاني، ثم يواصلون بعد ذلك دراستهم باللغة الانجليزية حتى المرحلة الوسطى فقط. وكان خريجو تلك المدارس يتم تعيينهم في الوظائف الدنيا في الدواوين المدنية ككتابة ومحاسبين.

في عام 1948 تأسست مدرسة رومبيك الثانوية التي استخدمت فيها اللغة الانجليزية لغة للتدريس. وكان خريجو رومبيك الثانوية ينالون تدريباً وتأهيلاً ممتازاً، وكانوا شديدي الارتباط ببعضهم البعض حيث كانت رومبيك الثانوية المدرسة الثانوية الوحيدة في كامل جنوب السودان.

في عام 1958 أصدرت الحكومة قراراً بتعريب الدراسة في الجنوب الأمر الذي خلق نوعاً من الارتباك وسط الطلاب وأدى لتذبذب الدراسة وتدهور أمرها. تواصل هذا التدهور حتى توقيع اتفاقية أديس ابابا للسام في عام 1972 والتي وضعت نهاية للحرب الأهلية التي تواصلت لـ 17 عاماً. ونصت الاتفاقية على أن تكون اللغة الانجليزية المستخدمة في التدريس والدواوين في الجنوب وبالتالي اللغة الرسمية في الجنوب، فيما كانت العربية اللغة الرسمية في التعليم والدواوين في الشمال.

وبعد اتفاقية اديس ابابا تم افتتاح مدرسة تجارية في جوبا، ثم مدرسة صناعية في ملكال. كان واضحاً أن التعليم لم يحظ بالاهتمام اللائق سواء من قبل الحكومات المركزية أو الاقليمية. كانت معظم القرارات تتخذ بشكل عشوائي ودون تخطيط. ففي الاستوائية على سبيل المثال كانت الدراسة في معظم المراحل باللغة الإنجليزية، وفي بعضها بالعربية (الابتدائية والمتوسطة).

في بحر الغزال وأعالي النيل استخدمت العربية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة فيما استخدمت الانجليزية في المرحلة الثانوية وكذا في الدواوين الحكومية. نقضت الحكومة بنود الاتفاقية بعد أعوام قليلة من توقيعها، وكان ذلك سبباً في نشوب الحرب من جديد في عام 1983.

كان فرض اللغة العربية محل رفض من قبل مواطني الجنوب الذين أصروا على استخدام اللغة الانجليزية في المخاطبات الرسمية الى جانب اللغات المحلية كوسيط في التدريس. لم تكن سياسات الطغمة العسكرية الحاكمة في الخرطوم محل قبول، وهم في الواقع خالفوا حتى تعاليم القرآن الذي يدعو الى مجادلة الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن تدليل مشكلات التعليم في الجنوب ترتبط وثيقاً بالنشاطات الابداعية والخلاقة للجنوبيين، الحاجة الي التعليم والعلوم، وبشكل الحكم القائم في البلاد. وتتضمن الحلول التي ترمي الى تعزيز التعليم وتشجيع الإبداع على:

- 1/ اعتماد الحكم الفيدرالي كنظام حكم.
- 2/ الفصل بين الدين والدولة.
- 3/ أن تكون الانجليزية لغة رسمية في الجنوب والعربية في الشمال.
- 4/ أن يكون معلمي المرحلة الابتدائية من ذوي الخبرة في التدريس وعلم النفس.
- 5/ إدخال مادة الفلسفة في المرحلة المتوسطة حتى الصف الثاني الثانوي.
- 6/ إعادة اعتبار أهمية المدرس وتوفير احتياجاته الأساسية.
- 7/ استخدام اللغات المحلية كوسيط في التدريس من أجل ترقية الموروثات الثقافية للمواطنين، والعمل على تطوير مهارات كتابتها وفهمها.
- 8/ إنشاء مراكز ثقافية في الأقاليم الجنوبية.
- 9/ ترجمة مناهج العلوم الى اللغات المحلية.
- 10/ انشاء مؤسسات خاصة بتطوير اللغات المحلية.
- 11/ تشجيع الأفراد المبدعين وتوفير احتياجاتهم.
- 12/ أن تشمل المدارس على المكتبات ومجالات الفنون الجميلة.
- 13/ إنشاء مراكز للأبحاث.
- 14/ إقامة أجهزة اعلام قوية تراعي في عملها التنوع الثقافي القائم.
- 15/ التزام البرامج التعليمية للدولة بواقع التنوع.

* نقلاً عن ورقة لكوال بعنوان "الإبداع في جنوب السودان" نشرتها صحيفة الاتحادي الدولية في 27 ابريل 1997.

معلمان سودانيان غيبهما الموت

محجوب التجاني*

في الأيام الماضية، غيب الموت أثنين من المعلمين السودانيين، لكل منهما إسهامات، ودائرة اهتمام، وتجارب حياتية مختلفة.

مع ذلك، فالمدح في الأمر أن المعلمين -كلهم- قد تشاطروا العديد من وجوه الشبه فيما يتعلق بالعمل الفكري والإبداعي، الأخلاق المهنية، والإلتزام الأخلاقي بتعليم العامة أفضل ما هو متاح من المعرفة، رغم محدودية الوقت والطاقة، وبعيداً عن أية أيديولوجية أو منطلقات ومصالح سياسية.

المعلمان هما البروفيسور عبد الله الطيب، الأكاديمي واللغوي والمؤلف والكاتب المسرحي والشاعر المشهور، والأستاذ محجوب سيد احمد، وهو نقابي معروف وقائد مجتمعي وناشط في مجال حقوق الإنسان.

للحجب، ينتمي كلا المعلمين عرقياً لإقليم واحد، الإقليم الشمالي، الذي يستوعب السودانيين من أصول عربية، بما فيهم الجعليين والشايقية، المجموعتين العرقيتين اللتين ينتمي إليهما معلمينا، على التوالي، ضمن آخرين عديدين. وعبر كلاهما وأكد بوضوح على هذه الهوية العرقية المزوجة بأفضل شكل.

في وقتٍ ما من عام 1991، نظم النادي النوبي في الخرطوم عرضاً خاصاً للبروفيسور عبد الله الطيب ضمن سلسلة من المحاضرات العامة التي قرّر النادي إقامتها وتحديثها بالفعل الجو الخائق لحكومة الإخوان المسلمين الإرهابية الجديدة لحسن الترابي وعمر البشير.

كانت ديكتاتورية الترابي-البشير قد أطلت بالبلاد بالفعل جموداً في النشاط الثقافي من خلال الموجّهات المعادية للثقافة التي أصدرها وزير الثقافة والإعلام آنذاك، والهواجس الموسوسة للإخوان التي كانت، وما تزال إلى اليوم، توجه الطغمة الحاكمة لتدمير كافة أعمال الفنون الجميلة، تقيد حريات الفكر والتعبير التي كانت قائمة قبيل انقلاب يونيو الإرهابي، وسجن سيد أحمد الشجاع وكثيرين من قادة النقابات الآخرين الذين طالبوا عمر البشير بإعادة الحقوق والحريات العامة، على نحو ما إدّعاه بنفاق بيانه الانقلابي، منذ الأيام الأولى للانقلاب سيء الصيت.

بعد تقديمي للمعلم العظيم، عبد الله الطيب، بمقدمة قصيرة استغرقتني إعدادها أياماً من البحث في مساهماته القيّمة في مكتبة الجامعة (جامعة الخرطوم) حيث توفرت معظم مؤلفاته الرائعة، إستمع الجمهور الكبير في النادي النوبي بمتعة كبيرة للأكاديمي واسع المعرفة وهو يقول مراراً "أخبروا كل شخص أن بلال، مؤذن النبي، كان نوبياً". ثم أعلن بصورة إيجابية ومؤكدة بدرجة كبيرة، "كانت جدتي أيضاً نوبية".

محجوب سيد احمد، أحد أفراد مجموعة الشايقية، لم يتخذ موقفاً مختلفاً، حيث ذكر غير مرة في محاضرة عامة جرى تنظيمها في مطلع عام 1990 في مدينة أسوان بواسطة مجموعات لحقوق الإنسان بالتعاون مع المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة: "أنا نوبي بقدر ما أنا سوداني عربي الأصل. كسودانيين، فإن كثيرين منا مزيج متفرد من الأصل الأفريقي والعربي".

كان الجمهور الذي أمّ ذلك اللقاء كبيراً. في اليوم التالي تحرك ممثلاً المنظمة، د. حمودة فتح الرحمن وشخصي، مع محجوب سيد احمد إلى المحلة الكبرى، أحد كبرى المدن العمالية المصرية، المعروفة بالنضال التاريخي لحركة نقابات النسيج المصرية. كان الاستقبال حميماً وأخوياً بالفعل. قام العاملون بتنظيم برنامج ترفيهي، غنائي، راقص، مرحبين بسيد احمد ورفيقه بالتحايا العذبة وتعبيرات الإطراء التي أشارت بوضوح للتقدير العالي الذي يتمنّع به سيد احمد بين مجموعاتهم النقابية.

كتب سيد احمد في كتابه الخاص بتطور ونمو حركة الطبقة العاملة السودانية (وهو أحد مطبوعات المنظمة السودانية لحقوق الإنسان والذي ستعيد المنظمة إصداره باللغة الإنجليزية والعربية في العام 2004) يقول "تشابكت حركة الطبقة العاملة السودانية مع حركة الطبقة العاملة المصرية منذ البدايات الأولى".

كانت مهنية البروفيسور عبد الله الطيب بالتأكيد نموذجاً لأرفع نوعية من الجودة التي يمكن للأكاديمي متقاني أن يقدمها لطلابه من خلال العمل العلمي والمهارة التعليمية. عقل موسوعي أتاح المعرفة المحيطة للقرآن الكريم في لغة عربية كلاسيكية، وأيضاً بالعربية العامية التي يتحدث بها السودانيون، بما فيها المدارس الفقهية المتعددة للعلماء المسلمين، واجتذب الطيب انتباه ملايين المستمعين من مختلف الفئات العمرية بتفانيه لكلمة العلم، وليس لأي موقف حزبي أو أيديولوجي.

مثل أسلوب البروفيسور الطيب مدرسة متطورة لتعليم العامة اللغة العربية الكلاسيكية، الدين الإسلامي الثر، والمعرفة الشعبية السودانية المجربة جيداً في ذات الوقت - مزيج فريد من التقليد عميق الجذور للمعلمين

السودانيين الذين برعوا منذ عهد كوش القديمة في العلوم المعروفة في تواضع، وطوّروا منذئذ إلتزاماً عاماً بتقاسم المعرفة مع الناس على أساس حرية القول والتعبير. ذلك هو السبب في أنه ما من حكومة على الإطلاق تستطيع الظفر باحترام الشعب السوداني الحر (المجتمع) بالإكراه.

شارك الأستاذ محبوب سيد أحمد، نقابي بارز وقائد مجتمعي في الوطن، في معظم البرامج التعليمية والورش التدريبية للمنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة في مصر (المنفى). لقد وهب معرفة موسوعة بحقوق العمل الدولية وأيضاً بالتراث المحلي السوداني لحركة النقابات العمالية، وهو عضو مؤسس، مع الشفيح أحمد الشيخ وسلام، لحركة عمال السودان الشجاعة من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان منذ بواكر الأربعينيات.

مثلته مثل البروفيسور الطيب، كان أسلوب الأستاذ سيد أحمد يقوم على إحساس أصيل بالتواضع، رغم ما لديه من معرفة واسعة، تجارب جيلية مع الحكومات، ومشاركات في المؤتمرات دولية، ونضال يومي. لقد كان إلتزامه الأخلاقي موجهاً نحو وحدة النقابات ومصالحها أكثر من أية دعاية سياسية أو إلتزام حزبي.

شهد العديد من الناس معلمينا العظيمين، يتقدمان في العمر وبنوءان من المرض، ومع ذلك فإنهما لم يجأرا بشكوى من إلتزامات العمل العام. لقد أنجزا، وقادا المناقشات، وشاركا في اللقاءات الفكرية، وعلمنا الناس، جيلاً بعد جيل، كلاً في مجال اهتمامه ودائرة خدمته المجتمعية، حتى اللحظة الأخيرة من حياتهما المعطاءة.

إن هناك الكثير من ما يمكن كتابته عن هذين المعلمين العظيمين.

رحم الله عبد الله الطيب ومحبوب سيد أحمد.

25 يونيو 2003*

رسائل إلي المحرّر

تلقى محرر الدورية رسالة من اللجنة السودانية في لبنان موجهة لرئيس المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة. تقول الرسالة:

"نبعث بأفضل تحايانا للمنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة. إيماناً منا بالعمل التضامني مع مشاكل ومعضلات أختنا السويديين، وكلجنة سودانية تهتم بأوضاعهم نحيطكم علماً بأننا توصلنا لمفتاح يؤمن الحل المرتجى من خلال اللجنة السودانية في مدينة ملبورن في استراليا، والتي وعدتنا بإرسال مستندات فورمات- الكفالة لآخواننا وإخواننا في لبنان ولقد استلمنا أول دفعة بفضل جهودكم معنا في فضح وعرض واقع السويديين وبيان المشكلات التي واجهتهم من خلال نداءات المنظمة السودانية لحقوق الإنسان، فرعي القاهرة وواشنطن منذ عام 2000 إلى آخر نداء صدر في مايو 2003 الذي فضح وأخرج الحكومة اللبنانية ووضعها في المحك الذي دفعها إلى توقيع مذكرة التفاهم مع مكتب المفوضية لشئون اللاجئين، جنيف، مؤخراً في يوم 10 سبتمبر 2003، وهذه إحدى إنجازاتكم القليلة من الكثير الذي قدمتموه من أجل كرامة الإنسان.

ومن هذا المنطلق وحرصاً على توثيق كل جهد بذلتموه، وضّحنا للجنة السودانية في استراليا جهدكم معنا ولمزيد من التعاون والتواصل حرصنا بأن يكون لكم علم بأخر تحركاتنا، ونكون شاكرين مخاطبتكم للجنة السودانية في استراليا بمدينة ملبورن من أجل رفع وتيرة عملهم الطوعي. يمكن الاتصال باللجنة من خلال عبد الخالق السر . .

التوقيع

اللجنة السودانية في لبنان".

بيان المنظمة السودانية لحقوق الإنسان للبرلمان

الهولندي، وزارة العدل، والبرلمان الأوروبي في بروكسل

تلقت الدورية نسخة من بيان المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة، للبرلمان الهولندي ووزير العدل والبرلمان الأوروبي في بروكسل تضامناً مع التظاهرة التي نظمتها المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - فرع هولندا لحث هولندا على دعم نضال شعب السودان لتحقيق سلام دائم وعادل وديمقراطية حقيقية لكل السويديين. قال نص البيان:

إلى البرلمان الهولندي

وزير العدل

البرلمان الأوروبي في بروكسل

تعرب المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة عن عظيم قلقها تجاه حالة حقوق الإنسان في السودان. على الرغم من أن حكومة السودان قد أبدت بعض الإهتمام بعملية السلام عبر التزام جزئي ببروتوكول ماشاكوس للسلام الذي رعته إيقاد، فإن الحكومة لم تتوقف على الإطلاق عن عدائها للحركة الديمقراطية الشعبية للبلاد وجهود مجتمعها المدني لدعم عملية السلام صرف النظر عن سيطرة الحكومة، أو لإظهار التقدير المستحق للتجمع الوطني الديمقراطي، الذي يمثل أكبر معارضة ديمقراطية في السودان.

إن الحكومة تواصل رفض مشاركة التجمع الوطني الديمقراطي والمجتمع المدني السوداني في مفاوضات السلام. إضافة إلى ذلك، فإن الحكومة لم تستجب على الإطلاق بشكل إيجابي لدعوة التجمع الوطني الديمقراطي المتواصلة لها لخلق مناخ بناء للسلام في البلاد. يتضمن هذا على إجراءات فورية لوضع حد للتعتسف المتواصل من قبل الأمن تجاه المواطنين، إلغاء قانون النظام العام والمراسيم الجمهورية الأخرى التي تقيد عملياً التمتع الكامل بمبادئ حقوق الإنسان الدولية.

ما تزال حكومة السودان تواصل حكم البلاد بقانون طوارئ دائم. كل هذا وغيره من الانتهاكات تجعل من المستحيل تحقيق السلام أو إحداث ديمقراطية حقيقية. أكثر من ذلك، فإن المنظمة تدرك بأن الوضع الحالي للبلاد يمر بنزاع مسلح في دارفور تنتهج فيه حكومة السودان العمل العسكري، واستأنفت، بجانب مشتروات ضخمة من الأسلحة، حملات تجنيد ضخمة للشباب السوداني للمشاركة في الحرب الدائرة.

إننا نثق في أن البرلمان الديمقراطي ووزارة العدل والبرلمان الأوروبي في بروكسل سيواصلون بجديّة ممارسة أقصى ضغط ممكن على حكومة السودان، التي تمّ للأسف تحريرها من الرقابة الحازمة لحقوق الإنسان التي

كانت مطلوبة عن صواب بواسطة مفوضية حقوق الإنسان. إننا في المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة
لنؤمن بأن دور المفوضية يتعين استئنافه لضمان حقوق الإنسان في البلاد.

نحن نتق في أن مؤسساتكم الديمقراطية ستواصل تأييد المعارضة الديمقراطية السودانية (التجمع الوطني
الديمقراطي) والمجموعات الديمقراطية السودانية الأخرى بغية عقد مؤتمر دستوري لكافة السودانين بحضور
اقليمي ودولي قوي لإنشاء إجماع عام على عملية السلام، بما فيه بروتوكول ماشاكوس للسلام، على أسس قومية،
بدلاً عن مواصلتها عبر مفاوضات ثنائية لا تمثل الإجماع الوطني المطلوب لإقامة ديمقراطية حقيقية وسلام دائم
وعادل لمجمل البلاد كنتيجة مباشرة لمراوغة حكومة السودان وعدم إلتزامها بالديمقراطية الحقيقية والسلام
العادل.

المخلص

محجوب التجاني

رئيس المنظمة السودانية لحقوق الإنسان - القاهرة

المنظمة السودانية لحقوق الإنسان هي منظمة غير حكومية لحقوق الإنسان تهتم بحالة حقوق الإنسان في السودان
والحاجة لحماية السودانين من ضحايا مثل هذه الانتهاكات. تعمل المنظمة في المنفى من خلال الشبكة الدولية
للمعلومات (الانترنت) ومجموعات ناشطين في داخل السودان. قم بزيارة موقعنا لمزيد من المعلومات في العنوان
التالي: <http://www.shro-cairo.org>